أخلاقيات الحج

ناهد عبد العال الخراشى



أخلاقيات الحج

ناهد عبد العال الخراشى

الطبعة الأولى

شوال ١٤١٨ هـ فبراير ١٩٩٨ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

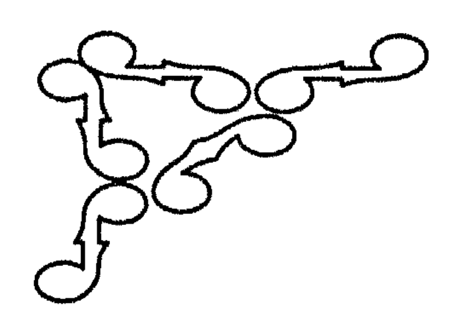
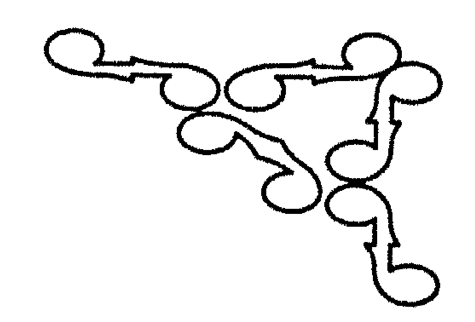
[آل عمران : ٩٧]

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك .. لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك

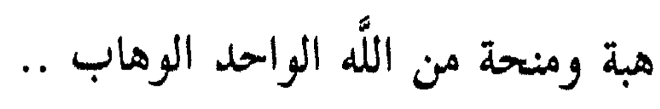
لا شريك لك .. لبيك

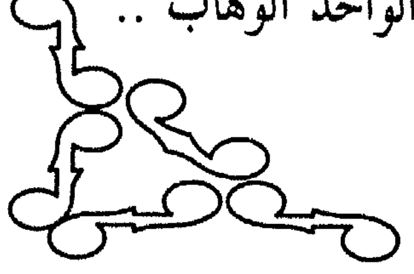
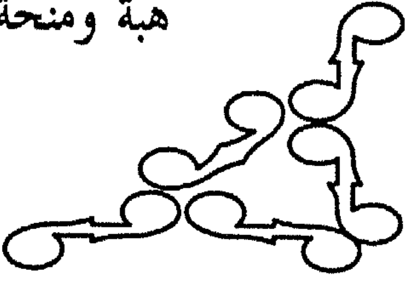
الحج رحلة إيمانية قلبية تشد الإنسان إلى آفاق عالية ..

ونسمات روحانية ..

وفيوضات نورانية ..



هبة ومنحة من اللّٰه الواحد الوهاب ..

إهـــداء

❑ إلى كل من يحج بيت اللَّه ...

❑ إلى كل من يعظم شعائر اللَّه ...

❑ إلى كل من يقف على عرفات باكياً ...

مستغفراً سائلا المولى الرضا والرحمة والمغفرة ...

❑ إلى كل من شغله اللَّه عمن سواه ...

❑ أهدى هذا الكتاب حباً فى اللَّه .. وللَّه .

مُقدّمة

بسم اللّه الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له .. له وحده نسلم ، وبه وحده نؤمن .. منه وحده الفضل ، وله وحده الحمد .. وإليه وحده يرجع الأمر كله .. والحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على من أشرقت الدنيا بنور وجهه الكريم وعظم به أمر الدنيا والدين وإنقشعت برسالته ظلمات الجهل وإهتدى بهديه التابعين إلى يوم الدين محمد رسول اللّه وخاتم النبيين ﷺ .

وبعـــد ...

الحمد للّه الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا اللّه .

بإذن اللّه جل جلاله وأمره وحده .. وبمشيئته هو وحده .. وبهدايته سبحانه وحده .. وبتوفيق منه وحده .. وبعونه وحده .. وبفضله تعالى هو وحده .. كتبت هذا الكتاب .

بأمر اللّه .. وبسلطان منه وحده

هناك كُتب يعدُ لها الكاتب الإعداد التام

ويدرجها فى خطة كتاباته .. ..

وهناك كتب أخرى تكون وليدة اللحظة

لم يجهز لها الكاتب ، ولم تكن فى الحُسبان أن تخرج إلى النور ، ولم يدرجها على الإطلاق فى خطة كتاباته ..

ولكن يشاء اللَّه عز وجل أن تكون ؛ وما شاء فعل .

بإذن اللَّه عز وجل يفتح سبحانه الباب أمام القلب المحب له ويدعوه ويدفعه إلى الإجتهاد والمجاهدة ، ويهديه إلى سبله فينال الأجر والثواب .

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

ما أجمل لمسات حنان اللَّه .. وما أعظم آيات حبه ...

هو سبحانه الذى يأذن ومشيئته نافذة .. ثم عز وجل هو الذى يفتح وينير الطريق ويهدى من يشاء إلى سبيله فيصبح ما يشاء أمراً واقعاً ، وحقيقة شاهدة بنفسها ثم يمنح الثواب والأجر لمن جاهد وعمل عملاً صالحاً .

للَّه وحده الأمر من قبل ومن بعد ، وهو سبحانه وحده المتفضل أولاً واخيراً ، وهو جل جلاله وحده المنعم فى البداية

والنهاية .. ونحن جميعاً نحيا فى ظلال رحمته وحنانه وحبه ونعمه التى لا تُعد ولا تُحصى .

ومع إشراقات الحب الربانى .. ونسمات الحنان الإلهى يفتح باب الطريق إلى اللَّه ينير للعبد سبيل القرب منه عز وجل .

وأحسب هذا الكتاب من النوع الثانى .. فلم يكن مدرجاً فى خطة كتاباتى أن أكتب كتاباً عن رحلة الحج بل كنت قد بدأت فى الإعداد لكتاب آخر ، ووصلت تقريباً إلى منتصف طريق الإعداد ، وفجأة ودون أية مقدمات وجدت نفسى أترك ما أكتبه مدفوعة بكل كيانى وجوارحى وحواسى أن أكتب هذا الكتاب : « **أخلاقيات الحج** » وربما دفعنى إلى ذلك سؤالاً هاماً استحوذ على فكرى وهو : « كيف يحافظ الإنسان على حجه فى رحلة العمر الباقية ؟ » .

ولأن التأمل فى طريق اللَّه فى النهاية لا بد وأن يثمر ثمرة تنتفع بها العقول المتدبرة والقلوب المحبة للَّه فكانت حصيلة هذه التأملات هذا الكتاب « **أخلاقيات الحج** » الذى أدعو اللَّه أن ينفع به المسلمون والمسلمات ويرتكز على مناسك الحج فى

ظلال التوجيه الربانى ، وحج رسول الله ﷺ كنموذج وقدوة وأسوة حسنة لنا فى كل زمان ومكان ، ثم الإعداد لرحلة الحج من الصفاء النفسى وطهارة القلب ونقاء الفؤاد والوجدان ، وسبل آداب شعائر الحج وكيف أن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب ، ثم التعرض إلى كيفية المحافظة على الحج فى رحلة العمر الباقية ، والدروس المستفادة منه ، ومواصفات الحج المبرور الذى يرضى عنه الله عز وجل ويكون ثوابه الجنة .

وهذا كله هو فضل الله العظيم ..

ولا أنسب فضلاً إلى نفسى .. فليس لى الفضل فى شئ .. ففى البداية والنهاية الفضل من الله .. وإلى الله .. وبيد الله .

ولو لم يكن فضل الله ، وعون الله ، وهداية الله ، ومشيئة الله ، وسلطان الله وأمر الله وإذنه وإرادته ، وتوفيق الله ، ونور الله ، وعطاء الله ، وفيض الله ، ورحمة الله .. لما استطعت أن أسطر حرفاً واحداً .

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] .

ولو لم يكن حب اللّٰه وحنانه .. ورعاية اللّٰه وعنايته ما استطعت أن أخرج هذا العمل إلى النور .. ولولا اللّٰه ما اهتدينا إلى طريق عبادته ، ولا تعلّمنا تعظيم شعائره .

سبحانه هو الوهاب ذو الفضل العظيم .

أسأل اللّٰه عز وجل العفو والعافيه عن أى سهو أو نسيان أو خطأ .

وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل هذا الكتاب خالصاً مخلصاً لوجهه الكريم ، وأن يتمم نعمته على بأن يخرج هذا العمل – الذى كتب بحروف صادقة – إلى النور ، وأن يكون ثمرة نافعة وبذرة طيبة لكل إنسان مؤمن بحب اللّٰه .. سالكاً طريقه ساعياً إلى رضاه .. طامعاً فى مغفرته ورحمته وثوابه .

ناهد عبد العال الخراشى

الفصل الأول

التوجيه الربانى
وحج رسول الله ﷺ

وجهنا الله عز وجل فى الكثير من آياته الكريمة إلى المناسك التى يرضاها منا وتقربنا إليه جل جلاله واستجابة لدعوة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ..

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة] .

والمناسك هى اسلوب العبادة الذى يرضاه الله منا ، وشعائر الحج من العبادات التى أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليها .

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام فرضه الله على المستطيع الذى يملك المال والصحة والقدرة على أدائه ، وهو قصد مكة لأداء عبادة الطواف والسعى والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران] .

لقد طلب اللّه سبحانه وتعالى من إبراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج فقال جل جلاله :

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] .

وقف إبراهيم عليه السلام فى هذا المكان المقفر المجدب الذى لا ماء فيه ولا زرع ، لم يكن هناك أحد يسمعه ، ولكنه أذن .. لأن اللّه سبحانه وتعالى قال له : « عليك الآذان وعلينا البلاغ » ، وكان من طلاقة قدرة اللّه أن بلغت هذه الدعوة مسامع كل من كَتب اللّه له أداء هذه الفريضة الجليلة منذ أذن إبراهيم عليه السلام وإلى أن تقوم يوم القيامة .

لقد جعل اللّٰه سبحانه وتعالى بيته الحرام قبلة للمؤمن يتجه إليه كل يوم خمس مرات فى الصلاة . وهكذا شاءت إرادة اللّٰه أن ينشغل فؤاد المؤمن بهذا البيت وهو بعيد عنه إلى أن يؤدى فريضة الحج ليتم بها نعمة الإيمان باللّٰه .

وبحلول موسم الحج من كل عام تمتلئ القلوب شوقا للذهاب إلى بيت اللّٰه الحرام لأداء فريضة الحج ، وزيارة قبر رسول اللّٰه ﷺ لما فى ذلك من متعة روحية لا تعادلها متعة اخرى ، ومن احساس بالقرب من اللّٰه ومن إنشغال باللّٰه سبحانه وتعالى عن خلقه جميعا سواء كانوا أهلا أو أقارب أو عشيرة أو غير ذلك من ذوى القربى .

إن المسافر لأداء فريضة الحج يترك كل شئ ويتفرغ لعبادة اللّٰه .. يترك أهله .. وماله .. وأصدقائه وسلطانه .. إنه يخرج من الحياة التى ألفها ليتقرب من اللّٰه فى صلاة وطواف وتلبية وذكر وتسبيح ، لا يكل ولا يمل .. نخضع للّٰه قلباً وقالباً وتزداد طاعته لربه كل يوم .. فتتنزل الرحمات على القلوب

فتسيل الدموع من العيون ويشعر الإنسان أن الدنيا كلها بما فيها ومن فيها قد تضاءلت أمام القرب من اللَّه ورضاه .

والحاج يترك كل شئ يألفه ، وهو فى رحلته يتجرد من أشياء كثيرة ويلتزم الأدب مع الكون كله.. فلا يقترب من شجرة ليقطع أغصانها ، و مع الطير فلا يصيده ، ويتأدب مع الخلق فلا يفسد حجه بالجدال مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

وهكذا يعلمنا اللَّه عز وجل كيف يكون السلوك فى الحج ويرشدنا إلى الفضيلة وإلى الخلق القويم فى هذه الرحلة المباركة فلا جدال ولا تأفف ولا اعتراض ولا شجار .

والحج هو العبادة الوحيدة التى حددها اللَّه سبحانه وتعالى زماناً ومكاناً ، أما الزمان : فهو يوم التاسع من ذى الحجة . والمكان : هو عرفات . فلا يحق لك أن تؤدى مناسك الحج فى أى شهر من شهور العام ، ولا أن تقف فى يوم التاسع من

ذى الحجة فى مكان غير عرفات طالما أنت هناك لأداء فريضة الحج .

وبأداء فريضة الحج استوفيت أركان الإسلام الخمسة .. أى أتممت واستوفيت كل أركان الدين .. استوفيت الصلاة بذهابك إلى البيت الحرام لتصلى فيه .. والحج فيه زكاة حيث أنك تزكى بمالك ووقتك وبدنك فى آن واحد فى سبيل اللَّه والحج فيه من الصوم لأنك تبتعد عن شهوات الجسد ما دمت محرماً .

والحج فيه أولا وقبل كل شئ شهادة أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمداً رسول اللَّه ، لأنك تأتى تلبية لأمر اللَّه سبحانه وتعالى وطاعة له عز وجل وتقوم بمناسك الحج كما علمها لنا رسول اللَّه ﷺ .

يوم الوقوف العظيم

ويحيا الإنسان فى ظلال التوجيه الربانى الذى هداه إلى الحج الصحيح حيث عرفنا رسول اللّٰه ﷺ أن الحج عرفة .

والوقوف بعرفة هو ركن رئيسى من أركان الحج ، والمقصود بالوقوف هو الحضور والوجود فى أى جزء من عرفة .

ويستحب فى هذا اليوم الصلاة وذكر اللّٰه وتلاوة القرآن الكريم والدعاء والاستغفار .. إنه يوم الرحمة ، وفيه تنزل الرحمات والمغفرة الواسعة .

إن الحج يمر بمراحل مختلفة .. تبدأ بإختيار الإيمان أولا .. وبالشهادة أنه لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه .. وبهذا الإختيار الإيمانى يدخل الإنسان فى نطاق التكليف الذى يشترك فيه كل المؤمنين باللّٰه ورسوله ﷺ ، من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا .

إن الإنسان بإعتناقه الإسلام يدخل نفسه فى تكليف ، فإذا أراد أن يحج أدخل نفسه فى تكليف آخر خاص بالحج ، فإذا أراد أن يتم الحج - والحج عرفة - خرج من منطقة الحرم إلى منطقة خارج حدوده .

وإذا أردنا أن نحصر الأماكن المحرمة بالنسبة للحاج نجدها أربعة : المسجد الحرام ، والبيت الحرام ، والبلد الحرام ، والمشعر الحرام - المزدلفة - الذى يتوقف عنده الحجاج وهم فى طريق عودتهم من عرفات .. ليجمعوا الجمار التى سيرجمون بها إبليس ، ويصلون المغرب والعشاء فيها جمع تأخير قبل أن ينطلقوا إلى منى استعدادا للمبيت لرمى الجمار ، وإلى مكة لأداء طواف الإفاضة .

ويرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى منسك آخر من مناسك الحج وهو عندما ننتهى من الوقوف بعرفة ونخرج من عرفات نذكر اللَّه عند المشعر الحرام مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾ [البقرة : ١٩٨] .

ولنقف هنا وقفة إيمانية فى لحظات من التأمل والتفكر عند هذه الآية الكريمة التى يوجهنا فيها اللّٰه عز وجل إلى ذكره سبحانه عند المشعر الحرام .. إنها حقاً نعمة تستوجب الذكر وتستحق الشكر للّٰه على أنه أنعم علينا بكل النعم التى نحيا فيها ، وفتح لنا باب الدخول إلى عرفات وهيأ لنا الأسباب لننعم فى هذا اليوم بالتجليات الرحمانية والإشراقات الربانية وتفضل سبحانه علينا بنعمة الوقوف بعرفة حتى يكتمل حجنا ويتم نعمة الإيمان علينا بهذا الحج المبارك ؛ آملين أن يتقبله منا طامعين فى رحمته ومغفرته ناشدين رضوانه وحبه .

أليس الوقوف فى عرفات .. هو يوم الوقوف العظيم حيث الأمن والسكينة .. والرحمة والمغفرة الواسعة .. وآيات الحب الألهى .. ولمسات الحنان الربانى .. ونسمات الرضا ترفرف عليك .. أنه يوم تشرق فيه أيها الحاج وتمتلئ بالنفحات النورانية .. إنها ومضات لا تنطفئ .. وفيوضات لا تنتهى .

أنه ليوم عظيم لا تسطيع الأقلام أن تصفه ، ولا القلوب أن تعبر عنه ، وعما تنفعل به من أحاسيس جياشة ونبضات

وجدانية .. إنه يوم تذرف الدموع فيها وكأنها أنهار دموع الطهر .. دموع التخلص من الآثام والخطايا .. دموع الإحساس بالذنب والألم لما فعلته فى حق الله .. دموع تطهرك من ظلمك فى حق العباد .

إنه يوم النقاء والصفاء فى أعلى درجاته وأعظم مراحله .. يوم يشعر الحاج المحب لله المخلص فى طريق الله بالصمت .. بالهدوء .. بأجنحة السلام الروحى ترفرف على قلبه ووجدانه وكيانه .. سلام لم يحسه من قبل ، أمان لا يعرف له وصفا يشعره بأن الدنيا صغيره وكل ما فيها من متاع إنما هو حقاً متاع الغرور .

إنه يوم تتخلص فيه من الكبر والتسلط والرياء تتساوى فيه مع الخلق .. تشعر فيه بالرضا والقناعة.. تتنافس فيه المنافسة الشريفة ولا يفوز إلا من أتى الله بقلب سليم .

أليس هذا الوقوف العظيم .. نعمة تستحق الشكر .. أليست نعمة تستوجب السجود حباً وحمداً وشكراً لله عز وجل ، ولو سجدت عمرك كله فلن يكفى هذا حمداً وشكراً لله .

واعرف أيها الحاج الذى دعاك اللّه للوقوف فى هذا اليوم العظيم إنه يدعوك لذكره عند المشعر الحرام ويقبل سجودك بإخلاص وحمدك وشكرك له على نعمته التى أنعمها عليك .. تقدسه .. وتسبح بحمده .. وإن دل كل هذا على شئ فإنما يدل ويثبت ويؤكد أنه حقاً الحج عرفة كما قال رسول اللّه ﷺ حيث جاءت دعوة اللّه بذكره سبحانه وحمده عند المشعر الحرام بعد الوقوف فى عرفات والإفاضة منها .

ومن أجمل لحظات الحمد ؛ اللحظة التى تنوى فيها بقلب مخلص صادق ألا يقتصر حمدك للّه بالقول فقط ، وإنما أيضاً بالفعل والسلوك إلى اللّه حباً له سبحانه وحمداً وشكراً له عز وجل حيث الإرتقاء بالسلوك ، والأرتفاع فوق الأحداث ، والتجاوز عن أخطاء البشر فى حقك .

وفى الحج تتجلى آيات الشكر وحمد اللّه سبحانه وتعالى حيث يكثر الحاج من حمد اللّه عز وجل على نعمه وفضله ، ومن أكبر النعم التى يحرص الحاج فيها على شكر اللّه نعمة الحج حيث أعانه اللّه وفتح له باب الدعوة إلى الحج ووفقه

وأعانه على الحج و يشعر الحاج أنه مهما قدم من لمسات الحمد والشكر فلن يوفى اللّٰه حقه من الحمد له سبحانه وتعالى على نعمه وفضله ويصل إلى درجة العجز عن حمد اللّٰه فيكثر من شكره وحمده له عز وجل آملا طامعاً فى أن يتقبل منه إنه هو السميع العليم .

وفى الحج تكثر لحظات الصفاء وخاصة يوم عرفة .. حيث يشعر الحاج بالصفاء .. والنقاء .. والطهارة .. والسمو .. فيشعر بأنه أصبح إنساناً آخر .. صافياً .. نقياً .. طاهراً .. عبداً نورانياً بأمر اللّٰه .. يحتويه حب اللّٰه .. ويملأه نور من عند اللّٰه .. فيبكى وتذرف الدموع وكأنها أنهار .. دموع تغسله وتطهره وتنقيه .. يبكى على كل ما فعله من آثام وذنوب .. طامعاً فى رحمة اللّٰه ومغفرته ورضوانه .

وتبدأ هذه المشاعر الصافية النورانية توجهه إلى كل ما هو خير وفاضل وكريم .

وفى الحج تتجلى قمة العبودية للّٰه عز وجل ، وعبودية الإنسان للّٰه تقتضى أن نبتعد عن التعالى على بعضنا البعض ..

فإذا ذهبنا إلى المسجد فى الصلاة .. فإن مقتضى المساواة أن من يصل أولا .. يجلس أولا ، بصرف النظر عن منصبه أو غناه أو فقره أو منزلته من الدنيا .

إن هذه المساواة فى العبودية لله تعالى تخرج التعالى من النفس وتجعلها تتواضع بحيث نحس جميعا أننا نقف أمام إله لا ينظر إلى صورنا وهيئتنا ، وإنما ينظر إلى قلوبنا .. لأنها معيار التفاوت بين إنسان وآخر .. بغض النظر عن مستواه الفكرى أو المادى .

لكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يجعل هذه المساواة والخضوع ليس فى بيئة محدودة ، ولكن فى نطاق عالمى ، وفى بيئة عالمية تجمع كل أجناس الأرض .. الأمم القوية والأمم الضعيفة .. القوى وصاحب الجاه والسلطان ، ومن لا يملك شيئا .. هؤلاء لا بد أن يكون لهم موقف يتناسب مع عظمة الحج .

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يربى فينا مقومات هذا الموقف ، يريد عز وجل ألا يتميز بعضنا على بعض فى الحج لا

فى الهيئة ، ولا فى الملبس .. يريدنا أن نقف أمامه متساوين كما خلقنا ، وكما سنقف أمامه يوم القيامة .

فى هذه الرحلة المباركة تتعلم أيها الحاج كيف تتنازل عن كبريائك وسيادتك فى هذا الكون ، ويجب أن تلتفت إلى ما تطالبك به هذه الشعيرة ولتدرك أن الجوهر فى الأمر .. فى الإيمان .. فى الطاعة .

إن أول شئ حين تبدأ رحلة الحج هو التلبية .. وهى استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أذن فى الناس بالحج .. ثم بعد ذلك عليك أن تتجرد من الكبر على غيرك ، وأن تخلع الثياب الفاخرة وتهجر البيت المعد إعداداً خاصاً لراحتك ، والأولاد والأصدقاء والأقارب وجاهك ومالك .

كل هذا تتركه خلفك وتذهب إلى بيت اللّه الحرام متجرداً محرماً ، وتاركاً الدنيا وراء ظهرك ملبياً لدعوة اللّه عز وجل طائعا لأمره سبحانه ساعيا إلى تعظيم شعائره .

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] .

ونمضى فى رحاب التوجيه الربانى .. متمسكين به .. متبعين أمره عز وجل حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وهكذا يأمرنا اللَّه عز وجل ويدعونا ويرشدنا ويعلمنا ويوجهنا إلى الإقتداء برسوله الكريم محمد ﷺ فى جميع أموره وشئون حياته وأن نأخذه مثلاً أعلى وأسوة حسنة نقتدى بها متمسكين مؤمنين باللَّه عز وجل مقتدين بالأخلاق الكريمة التى دعانا اللَّه عز وجل إلى التحلى بها آملين فى عونه ورحمته راجين أن يشملنا بلمسات حنانه الكبرى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] .

ما أجمل التوجيه الإلهى ، وما أعظم الإرشاد الربانى الذى يعلمنا الخُلق الكريم ، والأدب الحميد ، والسلوك القويم ، ويعرفنا إلى ما يرضاه اللَّه منا وما يرتضيه لنا ويرشدنا إلى سر السعادة القلبية وسبيل الحياة الآمنة المطمئنة .

ونطيع أمر اللَّه فى أن نتخذ رسول اللَّه وسلوكه قدوة ونموذجاً أمامنا ونتأمل كيف حج رسول اللَّه ﷺ فنحتذى بسلوكياته وخلقه التى هى خُلق القرآن التى تنير الطريق فى رحلة الحياة وترشدنا إلى أخلاقيات الحج وآدابه فى رحلة عبادة العمر .

حجة رسول الله ﷺ

مكث رسول الله ﷺ تسع سنوات لم يحج ، فلما كانت السنة العاشرة من الهجرة أذن فى الناس أن الرسول ﷺ حاج فى عامه هذا ، فقدم المدينة خلق كثيرون .. كل يريد أن يأتم برسول الله ﷺ ويقتدى بمثل عمله .

وفى الخامس والعشرين من ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة سار النبى وأخذ نساءه جميعا معه ، كل فى محفتها ، وتبعه جمع زاخر من المسلمين جاءوا من اماكن متفرقة لآداء فريضة الحج مع رسول الله ﷺ تجمع بينهم المودة الصادقة والإخوة الإسلامية .. يذكر طائفة من المؤرخين انه كان تسعين ألفا ، ويذكر آخرون أنه كان أربعة ومائة ألف .. ساروا يحدوهم الإيمان وتملأ قلوبهم الغبطة الصادقة لسيرهم إلى بيت الله الحرام ويؤدون عنده فريضة الحج الأكبر .

فلما بلغوا ذا الحليفة نزلوا وأقاموا ليلتهم بها . فلما أصبحوا احرم النبى وأحرم المسلمون معه ، فلبس كل منهم ازاره ورداءه

وصاروا ينتظمهم جميعا زى واحد هو أبسط ما يكون زيا ، وقد حفظوا بذلك المساواة بأسمى معانيها وأبلغها . وتوجه محمد بكل قلبه إلى ربه ونادى ملبياً والمسلمون من ورائه :

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك لبيك ،

إن الحمد والنعمة لك والملك

لا شريك لك .. لبيك

وتجاوبت الأودية والصحارى بهذا النداء تلبى كلها وتنادى بارئها مؤمنة عابدة . وانطلق الركب بألوفه وعشرات ألوفه يقطع الطريق بين مدينة الرسول ومدينة المسجد الحرام ، وهو ينزل عند كل مسجد يؤدى فيه فرضه وهو يرفع الصوت بالتلبية طاعة لله وشكراً لنعمته وهو ينتظر يوم الحج الأكبر نافذ الصبر مشوق القلب ممتلئ الفؤاد لبيت الله هوى ومحبة ، وصحارى شبه الجزيرة وجبالها وأوديتها وزروعها النضرة فى دهش مما تسمع وتتجاوب به أصداؤها مما لم تعرف قط قبل أن يباركها هذا النبى الكريم عبد الله ورسوله .

فلما بلغ القوم سرفا ، وهى محلة فى الطريق بين مكة والمدينة ، قال محمد لأصحابه : من لم يكن منكم معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ، ومن كان معه هدى فلا .

وبلغ الحجيج مكة فى اليوم الرابع من ذى الحجة ، فأسرع النبى والمسلمون من بعده إلى الكعبة ، فاستلم الحجر الأسود فقبله ، وطاف بالبيت سبعاً ، هرول فى الثلاث الأولى منها ، ومشى أربعا ، ثم تقدم حتى أتى مقام إبراهيم فقرأ الآية الكريمة :

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

وبعد أن صلى عند مقام إبراهيم عاد فقبل الحجر الأسود مرة أخرى ثم خرج الرسول ﷺ من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

وقال ابدءوا بما بدأ به اللّه ، فبدأ بالصفا ، فرقى عليه حتى رأى البيت واستقبل القبلة فوحد اللّه وكبره قائلاً :

« لا إله إلا اللّه وحده ، وصدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » .

ثم نزل ﷺ إلى المروة حتى إذا انصبت قدمه فى بطن الوادى يسعى حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة مثلما فعل على الصفا .

وفى الثامن من ذى الحجة يوم التروية . توجه الرسول ﷺ إلى منى ، وأَهل بالحج فنزل وصلى بالمسلمين الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس فأمر بخيمة ضربت له فى « نمرة » على مشارف عرفات .

وتوجه الرسول ﷺ إلى عرفات فنزل بها وأمر بناقته « القصواء » فرحلت ثم سار حتى أتى بطن الوادى وهناك نادى فى الناس خطبته الجامعة وهو يقف بين عبارة وأخرى قائلا بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه : « أيها الناس : اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا » .

« أيها الناس ، وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يوكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .. وأنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من أئتمنه عليها . وإن كل ربا موضوع [1] ولكن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون .

قضى اللّه أنه لاربا ، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .

وأن كل دم فى الجاهلية موضوع ، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا . ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فأحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم اللّه فيحلوا ما حرم اللّه ويحرموا ما أحل اللّه .

---

(١) أى مهدر .

وأن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق اللّه السموات والأرض ، وأن عدة الشهور عند اللّه أثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان

أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينه . فإن فعلن فإن اللّه قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح . فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً . وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة اللّه و استحللتم فروجهن بكلمات اللّه .

فاعقلوا أيها الناس قولى فإنى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بينا : كتاب اللّه وسنة رسوله .

أيها الناس أسمعوا قولى وأعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين أخوه فلا يحل لإمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم .

اللهم هل بلغت : .. أجاب الناس من كل صوب : نعم فقال : « اللهم اشهد » .

وما أتم النبى خطابه نزل عن ناقته القصواء ، وأقام حتى صلى الظهر والعصر ، ثم ركبها حتى الصخرات وهناك تلا عليه الصلاة والسلام على الناس قول اللّٰه تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

فلما سمعها أبو بكر بكى حيث أحس أن النبى وقد تمت رسالته قد دنا يومه الذى يلقى فيه ربه .

بقى الرسول ﷺ بعرفات إلى أن غربت الشمس وزالت صفرتها ثم نزل إلى المزدلفة فصلى بالمسلمين المغرب والعشاء بآذان واحد وإقامتين دون صلاة « نافلة » بينها ، ثم مكث بها حتى صلاة الفجر .

ثم ركب الرسول ﷺ ناقته « القصواء » حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فابتهل إلى اللّٰه داعياً ومكبراً ومهللاً ، وروى عنه ﷺ أنه قال : أكثر دعائى ودعاء الأنبياء من قبلى بعرفة :

« لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير » .

حتى إذا وصل رسول اللّٰه ﷺ إلى منى وقف أسفل الوادى وجعل مكة إلى يساره ومنى إلى يمينه ، وتوقف عن التلبية ثم استقبل جمرة العقبة الكبرى فرماها ، وهو على راحلته بسبع حصوات بعد طلوع الشمس ، يكبر مع رمى كل حصاة طوال طريقه فى الحج .

ثم ذبح الرسول ﷺ بيده ثلاثة وستين ذبيحة ثم طلب من على ابن أبى طالب كرم اللّٰه وجهه أن يكمل ذبح المائة ذبيحة ، وأمره أن يتصدق بلحومها ، وهذا فيه دليل على أستحباب تكثير الهدى ، وكان هدى النبى ﷺ فى تلك السنة مئة بدنة كأمر خاص به ، وبعد ذبح الهدى حلق رأسه ، وطلب من المسلمين أن يحلقوا أو يقصروا داعيا للمحلقين ثلاث ، وللمقصرين مرة واحدة .

وبات الرسول ﷺ فى منى ليالى أيام التشريق الثلاثة - ثانى وثالث ورابع أيام عيد الأضحى بعد رمى الجمرات - كما ورد فى حديث السيدة عائشة رضى اللّٰه تعالى عنها قالت :

« أفاض الرسول ﷺ من آخر يومه - أى يوم النحر بعد أن صلى الظهر - ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالى أيام التشريق يرمى الجمرات الثلاث كل يوم بعد زوال الشمس - عند الظهر - كل جمرة بسبع حصوات يكبر مع كل حصاة ، ويقف عند الجمرة الأولى وعند الثانية ، فيظل القيام والتضرع ويرمى الثالثة - جمرة العقبة - فلا يقف عندها » .

وأذن الرسول ﷺ فى أصحابه بالرحيل والعودة إلى المدينة وجعل آخر عهده بالبيت الحرام طواف الوداع قبل الصبح ، قبل أن يغادر مكة المكرمة عائداً إلى المدينة لآخر مرة .

ومما تقدم عرضه رأينا كيف أتم رسول اللّٰه ﷺ حجه .. هذا الحج الذى يسميه بعضهم حجة الوداع ، وآخرون حجة البلاغ ، وغيرهم حجة الإسلام .

وهى فى الحق ذلك كله ، فقد كانت حجة الوداع رأى فيها محمد مكة والبيت الحرام للمرة الأخيرة ، وكانت حجة الإسلام .. أكمل اللّٰه فيها للناس دينه ، وأتم عليهم نعمته ،

وكانت حجة البلاغ .. أتم النبى فيها بلاغه للناس ما أمره اللَّه بلاغه ، وما محمد إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون .

وهكذا علمنا رسول اللَّه ﷺ شعائر الحج ، وعنه أخذنا مناسك اللَّه التى يرضاها منا ويرتضيها لنا سبحانه ، وعرفنا كيف نحج إلى بيت اللَّه الحرام فتتم نعمة الإيمان علينا بأداء فريضة الحج .

والحمد للَّه الواحد .. لا إله إلا هو الذى أكمل لنا ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضى لنا الإسلام ديناً .

الفصـل الثانى

لبيك اللهم لبيك

« لبيك اللهم لبيك ..

لبيك لا شريك لك لبيك ..

إن الحمد والنعمة لك والملك ..

لا شريك لك .. لبيك » .

بهذه التلبية يلبى العبد المؤمن نداء الدعوة الربانية .. فالحج مؤتمر ربانى إنسانى ، دعا الله فيه عباده المؤمنين .

﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ [الحج : ٢٨] .

الحج

والحج هو زيارة بيت اللّٰه الحرام فى مكة بقصد أداء أعمال محددة فى وقت محدد من بينها الإحرام والطواف والسعى والوقوف بعرفة ورمى الجمرات ، وتبدأ مناسك الحج من يوم التروية – الثامن من ذى الحجة وتستمر حتى نهاية أيام عيد الأضحى المبارك .

وفى الحج يترك العبد المؤمن الأهل والأصدقاء والأحباب والأوطان ، يترك أنيسه المادى والمعنوى من أهله ووطنه ، ويتحمل مشاق السفر والإغتراب عن كل هؤلاء ليتجرد ويتفرغ من الف العادة إلى حرارة العبادة ، ليكون بالقرب من اللّٰه ملبياً .. مسبحاً .. ذاكراً .. شاكراً .. مصلياً .. طائعاً .. باكياً .. طالباً رحمة اللّٰه .. فيهون كل شىء أمامه ، ويصغر كل شىء أمامه وهو فى رحاب اللّٰه فى البيت الذى إختاره اللّٰه ، وبالقرب من الرسول الذى أرسله اللّٰه ، وسعيه لهذا اللقاء برغبته واختياره واشتياقه هو امتثال وطاعة وتسليم لمن كلفه وأمره ودعاه فلباه ،

وأمره فأطاعه ، وكلفه فنفذ التكليف وذلك هو الدليل على قوة الإيمان

والحج من العبادات التى يتفرغ فيها المسلم للصلاة والدعاء والإبتهال للّه عز وجل وتسبيح اللّه وتقديسه وحمده وتكبيره والإستغفار والصلاة على النبى .. وفى القيام بمناسك الحج ذكر للّه سبحانه وتعالى مما يبعث فى النفس والقلب الأمن والطمأنينة :

يقول اللّه تعالى :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

ويقول رسول اللّه ﷺ :

« عليك بذكر اللّه وتلاوة كتاب اللّه فإنه نور فى الأرض وذكر لك فى السماء »[1] .

والحج شعور وسلوك إيمانى يجعل الإنسان راضياً .. مطمئناً .. هادئاً .. آمناً .. يحتويه السلام الروحى .. والأمان النفسى .. والسكينة القلبية .

---

(١) رواه أبو يعلى عن أبى سعيد ، عن د. حسن الشرقاوى ، نحو علم نفس إسلامى ، [ص : ٣٠٣] .

قال ﷺ : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

والحج المبرور هو الحج الذى يخلو من الظلم والإثم والعدوان والفسق والجدال والإعتراض والتأفف والإساءة .

ولأن اللّٰه طيب لا يقبل إلا طيبا ..

فإن للحج المبرور مواصفات منها :

- أن يرتقى العبد فى علاقته باللّٰه عز وجل فيتحلى بما جاء به القرآن العظيم من خلق كريم ، وأدب حميد ، وأن يقتدى برسول اللّٰه ﷺ .
- أن يكون المال حلالاً .
- أن يتغير حال العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ومن طاعة إلى أكثر طاعة .
- لا بد من رد المظالم إلى أصحابها قبل سفر العبد لآداء فريضة الحج ، وعدم اكتساب مظالم جديدة بعد عودته .
- قضاء ما فات العبد من فرائض فى العبادة والإهتمام بألا يفوته جديد فى رحلة عمره الباقية .
- أن يؤدى العبد حجه أقرب ما يكون من سلوك الرسول ﷺ .

- أن يكثر العبد من النوافل والصدقات والأعمال الصالحة ومن تحصيل العلم الدينى الذى يعمل به .

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

- تجديد العهد مع اللّه كلما سنحت الفرصة للسفر لآداء العمرة أو الحج والتزود ليوم الوعيد .. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم .

وكما نرى فهى مواصفات تتطلب الإخلاص فى القول والعمل ، والصدق فى النية والسلوك ، والصفاء النفسى والنقاء القلبى حتى يسافر الإنسان لآداء فريضة الحج لا يطمع فى شىء إلى فى محبة اللّه ورضاه .

الصفاء النفسى

عندما ينعم اللَّه سبحانه وتعالى على العبد المؤمن بالدعوة لأداء فريضة الحج .. يشعر هذا العبد المحب للَّه بفرحة غامرة تسيطر على كيانه كله ممتزجة بالرهبة والخشوع ويوقن بأنه أمام مسئولية كبرى عليه أن يتحملها وأمانة لا بد من أدائها .

ويسجد بخشوع وحب حامدًا شاكراً فضل اللَّه العظيم عليه ، داعياً أن يتقبل اللَّه جل جلاله حجه وأن يعينه على المحافظة عليها .

فالحج مسئولية كبرى أمام اللَّه تتطلب الإخلاص والصدق فى القول والعمل ، ونقاء السريرة ، والصفاء النفسى .

والإعداد لرحلة الحج يتطلب سلوكيات خاصة حيث يعقد العبد المؤمن العزم على أن يسافر لأداء فريضة الحج صافياً .. طاهراً .. نقياً ليس فى قلبه شائبة .. يتملكه حب اللَّه .. طامعاً فى رحمة اللَّه .. ساعياً إلى رضاه سبحانه وتعالى .

ويستهل العبد المحب للَّه المخلص استعداده لرحلة الحج بالصفاء النفسى حيث يصفو بنفسه ويرتقى بقلبه وروحه

وكيانه إلى أعلى درجات الصفاء النفسى ويبدأ فى محاسبة أفعاله ويسترجع أحداث حياته ليصفى حساباته مع نفسه والآخرين ، فإذا كان قد أساء إلى أحد أو ظلم أحد أو كان سبباً فى إيذاء أحد ؛ فعليه على الفور أن يطلب العفو من اللّه أولاً ثم يستسمح من ظَلمه وأذاه .

فإن المحافظة على حقوق العباد من الأمور التى تتعلق عليها كمال المغفرة وتمام التوبة كما جاء فى سورة نوح :

﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴿٤﴾ ﴾ [نوح] .

لم يقل المولى عز وجل يغفر ذنوبكم ، ولكنه قال يغفر من ذنوبكم ، أى أن هناك بعض الذنوب ستظل مغفرتها معلقة حتى تقضى حقوق العباد ، مثلها لا يغفرها اللّه إلا بعد ردها إلى العباد أو عفوهم وتنازلهم عنها .

ولكن ما هو الظلم ؟

الكثيرون يعتقدون خطأ أن الإنسان يستطيع أن يفعل ما يحلو له ؛ ثم يؤدى فريضة الحج فيعود من الحج كما ولدته أمه بلا خطيئه .. بلا أخطاء .

ولكن كيف ذلك ؟ كيف يحل الإنسان لنفسه أن يظلم ويكون سبباً فى إيذاء الآخرين أو الإساءه إليهم فى أى صورة من الصور ؟ ثم لمجرد أن يؤدى فريضة الحج يعود وكأنه لم يفعل شيئاً .. أين حق المظلوم ؟

لقد صور القرآن الكريم الظلم أعظم تصوير حيث توعد الظالمين بالعذاب الأليم وكما توعد الظالمين ، وعد المظلومين بالنصر .كما طمأنهم حيث نهى اللّه عن الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم ، وهنا أعطى اللّه الحق للمظلومين بالجهر بالسوء لأنه يعلم سبحانه مدى الثورة التى تتولد وتتفجر بداخل الإنسان المظلوم .

والظالم إنسان استفحلت فيه آفة الكبر وتولدت عنده الأنانية والغرور والتجبر بدرجة كبيرة فهو إنسان لا يرى إلا نفسه ، ولا يسعى إلا لتحقيق مصلحته الشخصية حتى ولو كان الثمن فى ذلك أن يجور على حساب الآخرين وحقوقهم وأن يؤذى آدميتهم وكرامتهم وكبريائهم .

فهو إنسان نسى اللّه فأنساه نفسه .

والظلم ثلاثة أنواع :

ظلم بين الإنسان وبين اللّه تعالى : وهو ظلم فى حق اللّه سبحانه وتعالى والمقصود به الكفر والشرك والنفاق مع اللّه . ويعتبر هذا النوع من الظلم .. ظلم عظيم . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

وهذا النوع من الظلم لا يغفره اللّه لأنه سبحانه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء إلا أن يُشرك به .

وظلم آخر بين الإنسان ونفسه : وهو ظلم فى حق النفس الإنسانية حيث يقصر ويتهاون العبد فى التكاليف التى أمره اللّه بها كأن يتكاسل عن أداء العبادات ، وهكذا ظلم الإنسان نفسه .

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

ويغفر اللّه عز وجل هذا النوع من الظلم لمن يشاء .

وظلم بين الإنسان والناس : وهو الظلم فى حق الغير ، كأن يأكل الإنسان حقوق الآخرين بالباطل ، أو يظلمهم بشهادة الزور ، أو أن يستغل نفوذه وسلطته بغير الحق فى مهانة الناس وإذلالهم .. كل هذه وغيرها صور من ظلم الإنسان للإنسان .

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [الشورى : ٤٢] .

فإذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .

وهذا النوع من الظلم يستلزم التوبة عنه وأن تكون مقرونه بالسلوك العملى كأن يتصافى العبد مع من ظلمه أو أساء إليه حتى يذهب إلى الحج طاهراً نقياً من أى ضغينة أو شائبة مبتغياً فى ذلك محبة الله ورضاه .

وكل هذه الثلاثة أنواع هى ظلم للنفس .

وفى البداية والنهاية الأمر لله وحده ورحمته ومغفرته مقرونة دائماً بمشيئته وإرادته وحده فيهدى من يشاء ، ويغفر لمن يشاء .

وهو سبحانه الذى وسع كل شىء رحمة وعلماً .يصلى له الملائكة بقولهم :

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧] .

ويقول عز وجل فى صفة رحمته :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

ويقول تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

لا يكاد يبدأ الإنسان سيره فى طريق الإخلاص لله .. حتى ينطبق عليه قوله تعالى :

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[الفرقان : ٧٠] .

إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق . ويمدنا القرآن الكريم بأسلوب فريد وناجح فى علاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة . فالتوبة إلى اللّه سبحانه وتعالى تمحى الذنوب ، وتقوى فى الإنسان الأمل فى رضا اللّه ، فتخفف حدة قلقه .

ثم إن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى فى الأخطاء والمعاصى ، ويساعد ذلك

على زيادة تقدير الإنسان لنفسه ، وزيادة ثقته فيها ، ويؤدى ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة فى نفسه :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] .

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٧] .

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٥٣] .

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٢] .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

والتوبة معرفة حقيقية ، وإيمان غالب على القلب ، ويقين مؤكد ، فإذا ما تمت توبة الإنسان ، فإنه يثور نتيجة هذه المعرفة ، ويتألم قلبه ويحزن بسبب ما وقع فيه من الذنوب والآثام .

إن إيمان المسلم بأن اللَّه جل شأنه يقبل التوبة ويغفر الذنوب ، وأن اللَّه سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ، وإنما يدفعه إلى الإستغفار والتوبة ، والإبتعاد عن إرتكاب المعاصى أملاً فى مغفرة اللَّه ورضوانه وإذا تاب المسلم توبة نصوحة ، والتزم بطاعة اللَّه وعبادته بالعمل الصالح ارتاح باله ، وإطمأنت نفسه ،

وزال عنه الشعور بالذنب الذى يسبب القلق النفسى واضطراب الشخصية .

والحج فرصة عظيمة للنفس اللاهية والقلب الغافل ، وللإنسان لكى يعيد حساباته ويغسل نفسه من الذنوب والآثام والخطايا فيعتدل أمره ويدخل فى طاعة اللّه مما يكسبه عادات جديدة واخلاقاً حميدة أما فى فى حالة إذا لم يتب العبد ولم يطلب الصفح ممن أذاه أو ظلمه .. يظل ظلمه وإساءته لغيره معلقاً حتى يوم القيامة فيحكم اللّه فى أمره بمعنى أنه من الممكن إذا شاء اللّه أن ينال ثواب الحج ولكن يظل ظلمه معلقاً فى رقبته حتى يوم القيامه ويحاسبه اللّه على ظلمه فى حق الآخرين .. وهذا هو عدل اللّه ، ورحمة اللّه وهو سبحانه الحكم العدل الرحيم .. والعدل هو ميزان الرحمن ليقتص به من الظالم وينصر المظلوم .

والحديث عن الظلم يستوقفنا فى لحظات من التأمل عند الاحتساب عند الله .

والإنسان المظلوم يحتسب عند اللَّه ما فعله الآخرون به .. والإحتساب عند اللَّه فضيلة ودرجة عالية من درجات الإيمان تتطلب من الإنسان سلوكيات معينة وجهاد مع نفسه مثل كظم الغيظ والعفو والصبر وكلها سلوكيات فى طريق اللَّه تجعل الإنسان فى حالة صراع دائم مع النفس يتطلب منه الصبر ، والصبر على أذى الناس درجة من درجات الإحسان .

ولا تحسبن الذين يحتسبون عند اللَّه أن حقوقهم قد ضاعت .. كلا فهى محفوظة عند اللَّه إلى وقت يشاء اللَّه أن ينصر فيه عبده المظلوم .. وهذا هو وعد اللَّه ، ووعد اللَّه حق .

إن تفويض الأمر للَّه ، والإحتساب عند اللَّه يمنح الإنسان قوة كبرى .. قوة يستمدها من حبه للَّه وثقته فى اللَّه .. قوة تعطيه القدرة على الصبر وتمنحه الهدوء والسكينة والأمان مما يؤدى إلى صفاء النفس وصفاء الذهن .

إن الصفاء النفسى درجة من درجات الإيمان حيث يشعر العبد بأنه محلقاً فى السماء ، وأن الدنيا صغيرة جداً أمامه

وأيامها قصيرة مهما طالت وأن الفوز برضا اللّه وحب اللّه منال كبير لا يساويه أى شىء ولا يقدر بكنوز الدنيا ومتاعها .

والصفاء نعمة من نعم اللّه يمن بها على عبده المؤمن المحب حيث يشعر هذا العبد بأن هناك نوراً يسرى فى كيانه ، ويجرى فى دمه .. نوراً يهذبه ويصقله ويوجهه إلى كل ما هو خير وفاضل وكريم .

والصفاء النفسى يتطلب من الإنسان سلوكيات خاصة مثل العفو والصدق والصبر والإخلاص وكظم الغيظ والإحسان والرضا مما يدفع الإنسان إلى التحلى بالخلق القرآنى ومن تحلى بالخلق القرآنى وعرفه حق المعرفة وقاه شرور الدنيا وآثامها .

الإحـرام

وعندما يبدأ الحاج مناسك الحج ، يدخل فى سلام مع الوجود كله ، وسلام مع نفسه التى سالمته فرضيت أن تمتنع عن كثير مما أحل اللّه لغير المحرم ، فلا شهوة له فى زينة ولا طيب فضلاً عن رفث أو فسوق . وهو فى سلام مع الناس فلا جدال ، وفى سلام مع النبات فلا يقطعه ، ومع الحيوان فلا يصيده ولا يذبحه ، وإن صاده فداه ويظل هكذا حتى يتحلل .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

وفى الإحرام من المواقيت إشعار النفس بأنها دخلت حِمى اللّه ، وأقبلت على مكان غير عادى فلابد أن يخرج عن كثير من العادات ، تربية للمهابة واستحضاراً للقداسة .

والإحرام هو بداية الدخول فى مناسك الحج أو العمرة حيث يلتزم الحاج بأعمال معينة ، ويمتنع عن أعمال أخرى ويبدأ الحاج فى الإحرام قبل أن يتجاوز أماكن محددة تختلف

باختلاف الجهة التى يدخل منها إلى مكة ، وتسمى هذه الأماكن بالمواقيت .

والميقات هو المكان الذى يلتزم الحاج بألا يتجاوزه إلا محرماً للحج أو العمرة أو لهما معاً سواء جاء إلى مكة بالبر أو بالبحر أو بالجو مصداقاً لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام :

« لا تجاوزوا الميقات إلا بإحرام » .

ويختلف الميقات حسب الجهة التى يدخل منها الحاج إلى الحرم متجهاً إلى مكة ، وقد حدد لكل قادم إلى مكة للحج أو للعمرة أماكن لا يحل له أن يتجاوزها إلا وهو محرم ، وهذه الأماكن هى :

- **ذو الحليفة** : وتسمى « آبار على » وهى ميقات أهل المدينة المنورة وكل من مر بها أو قريباً منها تقع على بعد حوالى ٤٥٠ كيلو متراً إلى الشمال من مكة وعلى بعد حوالى ١٨ كيلو متراً من المدينة .

- **الجحفة** : وتسمى الآن « رابغ » وهى ميقات أهل مصر والشام والمغرب ، وتبلغ المسافة بين رابغ ومكة المكرمة حوالى ٢٠٤ كيلو مترات .

❑ **قرن المنازل** : وهى ميقات أهل نجد والكويت ومن مر به أو سلك طريقهم ، وهو جبل شرقى مكة يطل على وادى عرفات وبينه وبين مكة المكرمة حوالى ٩٤ كيلو متراً .

❑ يلملم : وهى ميقات أهل اليمن . عبارة عن جبل فى الجنوب من مكة المكرمة على مسافة حوالى ٥٤ كيلو متراً .

❑ ذات عرق : وهى ميقات أهل العراق وتقع إلى الشمال الشرقى من مكة على مسافة ٩٤ كيلو متراً .

وهذه الأماكن تمثل مواقيت للحج حددها الرسول ﷺ لأهل هذه البلاد ومن مر بها من غيرهم ، وكل من يمر بأحد هذه المواقيت أو يحاذيه براً أو جواً أو بحراً فعليه أن يحرم قبل أن يتجاوزه .

أما أهل الجهات التى تقع بين هذه المواقيت ومكة فيحرم كلٌ منهم من مكانه الذى يقيم به ، وأما أهل مكة فيحرمون من منازلهم لعموم قول الرسول ﷺ فى حديث ابن عباس رضى اللّٰه تعالى عنهما قال : قال ﷺ :

« ومن كان دون ذلك فمهله من أهله حتى أهل مكة يهلون من مكه » .

لكن إذا كان الإحرام للعمرة ، فيجب على من كان ساكن الحرم أن يخرج إلى الحل - أى خارج الحرم - ليحرم منه لأن النبى ﷺ لما طلبت منه السيدة عائشة رضى اللّه عنها أداء العمرة أمر أخاها عبد الرحمن بن أبى بكر أن يخرج بها إلى الحل لتحرم منه .

التلبيـة

وبعد أن يصلى الحاج ركعتين ينوى الدخول فى مناسك الحج ، ويلبى النسك الذى يريد أداءه .. فإذا أراد الإحرام بالعمرة فلينو الإحرام بها وليقل : « **لبيك اللهم بعمرة** » وإذا أراد الإحرام للحج قال : « **لبيك اللهم بحج** » وإذا أراد الحاج أن يجمع بين الحج والعمرة بإحرام واحد قال : « **لبيك اللهم بحج وعمرة** » ثم يبدأ بالتلبية التى لبى بها الرسول ﷺ :

« لبيـك اللهــم لبيـــك ..

لبيـك لا شريك لك لبيـك ..

إن الحمد والنعمة لك والملك ..

لا شـــريك لك .. لبيك » ..

ومن السنة رفع الصوت بالتلبية بالنسبة للرجال بعد الإحرام فوراً ، أما المرأة فترفع صوتها بالتلبية بالقدر الذى تسمع فيه نفسها ويسمعها من يليها فقط .

ويبدأ الحاج فى التلبية من وقت الإحرام ، ويقطعها عند رمى أول حصاة من جمرة العقبة الكبرى . أما المعتمر أو المتمتع فإنه يكثر من التلبية بعد الإحرام ، ويكثر من ذكر اللّٰه عز وجل حتى يصل إلى بيت اللّٰه الحرام ثم يقطعها فور الشروع فى الطواف .

ومعنى التلبية أن يجيب العبد دعوة الداع له وهو اللّٰه سبحانه وتعالى الذى يسر له حج بيته ، وأعانه عليه بالنفقة والاستطاعة ، وأنه بهذه التلبية يعلن خروجه إمتثالا لأمر اللّٰه الذى أنعم عليه بأجل النعم وأعظمها حج بيته العتيق .

والحج المبرور هو الحج الذى لا يخالطه إثم أو ظلم أو فسق أو جدال فيرتقى العبد بصفائه إلى أعلى درجات النقاء والإرتقاء والإيمان ويصبح حب اللّٰه هو هدفه .. والسعى فى طريق اللّٰه غايته .. والسلوك إلى اللّٰه برضى وحب أمله وما ينشده فى الحياة طامعاً فى آيات حبه ولمسات حنانه ونسمات رضاه .

ويبـدأ الإنسـان رحلتـه فرحاً .. سعيداً .. هانئاً .. آمناً .. هادئاً .. ساكناً .. راضياً .. ملبياً دعوة اللّٰه الكريمة فى أدء فريضة الحج داعياً أن يتقبله بقبول حسن .. وأن يقبل حجه ويدخله فى رحمته وأن يغفر له ذنوبه .. وأن يجعله فى طريقه ورضاه .

الفصل الثالث

رحلة حب نورانية

من أجمل لمسات الحنان الإلهى علينا أن هيىء اللّه لنا من أمرنا رشدا ، وجعل عز وجل العبادة سبيلاً من سبل القرب منه سبحانه .

وعندما يتحدث الإنسان المؤمن عن العبادة يشعر بإحساس كلى يمتزج فيه الإيمان بالرهبة والخشوع والحب الإلهى .

لقد جعل اللّه تبارك وتعالى غاية الخلق هى العبادة ، والعبادة قمة المحبة ، والمحبة قمة المعرفة ، وليس بعد هذا الفضل شىء .

قال اللّه تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وما كانت عبادة الإنس والجن من أجل نفع يصل إلى اللّه سبحانه وتعالى من وراء ذلك فهو سبحانه غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ، ولا تضره معصية ، وإنما خلقهم من أجل عبادته ليكملهم بهذه العبادة ، وليصل بهم إلى طريقها ليكونوا أهلاً لذاته سبحانه وليتجلى عليهم إذا تزكوا بأنواره وفيوضاته .

وقد نوع لهم سبحانه العبادة فلم يجعلها على وتيرة واحدة حتى لا يملوا ، وحتى يكون فى تنوعها تزكية لجوانب متعددة

وزواياً مختلفة من الطبيعة البشرية ، وحتى تتناسب - على تفاوت فيما بينها - مع كل الطبائع والإستعدادات .

وفهم بعض الناس مراد اللَّه سبحانه ، وفهموا توجيهه للبشرية نحو الكمال الذى يجب أن يصل إليه كل من يرجو لقاء اللَّه سبحانه وعلموا أن السعادة كل السعادة إنما هى فى الإنضواء تحت اللواء الإلهى والدخول فى الساحات الربانية ، فطبعوا الحياة بطابع العبادة وجعلوا أعمالهم عبادة ، وحركاتهم عبادة ، وسكناتهم عبادة ، وتأملاتهم عبادة .. فكانت حياتهم عبادة .

وحاولوا جاهدين أن يقاربوا المثل الأعلى الذى أمر اللَّه سبحانه رسوله صلوات اللَّه عليه وسلامه أن يكونه :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام] .

لقد خلق اللَّه الإنسان ، وميزه بالعقل والإرادة ، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، وسخر له ما فى الوجود لخدمته وذلك كله حتى لا ينشغل بشىء ويتفرغ لعبادته هو وحده .

إن منح اللّه للإنسان كثيرة ، ونعمه عز وجل عليه كبيرة ، فلقد وهبه سبحانه وتعالى العقل ليميز بين الحق والباطل ، ويفرق بين الخبيث والطيب ، ومنح له القلب الذى يدرك به حقائق الأمور ، وأعطاه الجسد الذى به يتمتع بما أحله اللّه ويمتنع عما حرمه .

ثم إختار له الدين الذى يجب أن يتبعه وأودع فيه فطرة بأن يتجه إلى هذا الدين وألا ينحرف عنه ، ثم شرع له شريعة يسير على نهجها .

وقد أوجد اللّه فى الإنسان القدرة على الإختيار بين طريق الهدى والضلال ، الخير والشر ، فإما أن يهتدى إلى الصراط المستقيم أو يضل الضلال المبين .

إذن نجد أن اللّه عز وجل سهل لنا الطريق ورسم لنا السبيل ووضع لكل شىء أصولاً ومبادىء وقواعد لنسير عليها ونهتدى بهداها .

فالعبادة شريعة اللّه فى خلقه ، أمرهم بها حتى تقوم الساعة لمغالبة النفس والهوى والشيطان جميعاً ، لذلك تحتاج العبادة

إلى مجاهدة ومكابدة ومعاناة فإذا داوم العبد على العبادة للَّه ظاهراً وباطناً .. مخلصاً خالصاً للَّه إنتقل إلى الحياة الأخرى ملاقياً ربه مؤمناً فيثاب على عمله ويلحق بالصالحين فى جنات ونعيم .

فالعبادة إذن هى الطريق إلى نعيم الآخرة ، وليست العبادة أشكالاً وحركات ، وليست صوراً ومظاهر ، وإنما العبادة إخلاص للَّه وطاعة لأمره ، وذكر لفضله ونعمه ، ورضا ببلائه وإبتلائه ، وتوكل عليه فى كل أمر وفعل ، وصبر على ما يعطى وما يمنع ، ومحبة دائمة لا يعتريها إعتراض ولا مخالفة والعبادة قلب سليم مع اللَّه ، وسكينة فى كنف الرحمن وخوف من وعيده ، ورجاء فى وعده وهنا تذوب النفس الأمارة وتظهر النفس المطمئنة .

والعبادة الحقة ليست مقصورة على الفرائض المسنونة ، ولا التكاليف المقررة وإنما هى صدق وإخلاص ونية حسنة وحبٌ للَّه عظيم يمتزج بالرهبة والخشوع لرب العالمين الذى لا إله إلا هو الإله الواحد الصمد الخالق لكل شىء .. والمدبر

لكل شىء .. والمهيمن على كل شىء .. والقادر على كل شىء .

ويقوم الدين الإسلامى على ركيزة أولية ودعامة أساسية هى التوحيد ، والتوحيد هو الحقيقة الأساسية فى العقيدة الإسلامية بل أنه المقوم الأول فى دين اللّٰه كله ، وخاصية بارزة وهامة من خصائص هذا الدين .. فهو الجوهر والأصل الثابت لدين الإسلام .

والإنسان فى ظل هذه العقيدة ، وتحت راية هذه الحقيقة يعيش روعة الإبداع الإلهى الذى يحيا فى نفسه ويتفاعل مع كيانه فيهز وجدانه ويحرك قلبه ولسانه بقول :

« لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له » .

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

جل جلالك .. عظمت قدرتك .. وتقدست ذاتك .

فإن اللّٰه وحده هو الذى يتقرب إليه المسلم بعبادته وخضوعه ، ومن اللّٰه وحده يستمد المسلم العون ويطلب الهداية .

ولذلك فإن التوحيد من أول الأركان الأساسية الخمسة التى بنى عليه الإسلام ، ولكى يتحقق إسلام الإنسان لابد من شهادته بأنه لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه ثم أداء جميع الأركان الأخرى وهى : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن إستطاع إليه سبيلاً .

هذه هى الأركان الأساسية التى يقوم عليها الإسلام ، وهى فى نفس الوقت تمثل العبادات التى شرعها اللّٰه لعباده للقيام بها وآدائها .

من أصول العقيدة الإسلامية أن يصلى الإنسان خمس مرات فى اليوم .. والصلاة هى التطبيق العملى للمعرفة النظرية التى تقولها شهادة أن لا إله إلا اللّٰه والصلاة حركات يقوم بها المسلم ، يسجد فيها ويركع ، يقرأ القرآن ويدعو ، يذكر اللّٰه ويشكره .. وقبل هذا كله وبعده يحب اللّٰه .

إذن الصلاة صلة باللّٰه .. يقف الإنسان فيها خمس مرات فى اليوم بين يدى ربه سبحانه .

الشهادة فى الإسلام إتصال باللّٰه وحب .

والصلاة فى الإسلام إتصال بالله وتطبيق عملى للحب .

والزكاة فى الإسلام تصرف إقتصادى ينطوى على فعل من أفعال الحب .

والصوم فى الإسلام امتناع عن حاجات الجسم إلى الطعام والشراب وإبتعاد عن الشهوات حباً فى الله وطاعة لأمره .

والحج فى الإسلام تعظيم لشعائر أقامها الله عز وجل بأمره ، وتحقيقاً لدعوة إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام حيث قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة] .

وإذا تأملنا هذه الآية الكريمة وجدناها تتضمن دعوة إبراهيم وإبنه إسماعيل عليهما السلام حيث كانا يرفعان القواعد من

البيت ويدعوان اللّٰه بأن يتقبل منهما إنه هو السميع العليم وأن يجعلهما مسلمين له وحده ومن ذريتهما أمة مسلمة له وحده ، وأن يريهم مناسكهم أى يريهم أسلوب العبادة الذى يرضاه منهم وأن يريهم كيف يحب سبحانه أن يعبدوه فى الأرض وأن يتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم ثم تتجاوز الدعوة الزمن الذى يعيشان فيه حيث يطلبان من اللّٰه أن يبعث إلى عبادة رسولاً منهم يتلو عليهم آياته سبحانه ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنه هو سبحانه العزيز الحكيم .

وتحققت دعوتهما بعد أزمنة وأزمنة حيث بعث محمد ﷺ .

انتهى بناء الكعبة . و بدأ طواف الموحدين والمسلمين حولها ، ووقف إبراهيم عليه السلام يدعو ربه بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى المكان .

قال اللّٰه تعالى :

﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

من هذه الدعوة ولد الهدى العميق فى نفوس المسلمين رغبة فى زيارة البيت الحرام .

وأخطر من هذا .. وداً عميقاً وحباً خالصاً لرب البيت .. رب العالمين .

فإبراهيم عليه السلام هو النبى الذى إتخذه اللّه خليلاً .

قال اللّه تعالى :

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

وهو النبى الذى إبتلاه اللّه ببلاء مبين .. بلاء فوق قدرة البشر وطاقة الأعصاب .. ورغم حدة الشدة وعنت البلاء .. كان إبراهيم هو العبد الذى وفى .

﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٧] .

فالعبادة هى قمة من قمم الحب بل هى قمة المحبة وكمالها ، وهى طاعة اللّه والتوجه إليه سبحانه وتعالى بقلب مخلص سليم والتجرد من كل علائق الدنيا وشوائبها وهواها ، وهذا يتطلب من العبد إستحضار كامل للّه فى عقله وفكره وقلبه وفؤاده وكيانه كله ، وهنا يشعر بالصفاء يملأ وجدانه ،

والنورانية تحيط أعماقه ، وحب اللّٰه يغمر قلبه وكيانه كله حيث لا يكون فى القلب شيء سوى اللّٰه ، ولا يشغل الفكر شيء إلا القرب من اللّٰه ، ولا يكون السلوك إلا للّٰه ، ولا يتخذ الإنسان هدفاً إلا اللّٰه .

والعبادة ليست مجرد شعائر ومناسك أو حركات يؤديها ويقوم بها الإنسان المؤمن المحب للّٰه .. إنها أمر أكبر من مجرد القيام بشعائر مفروضة .. فالعبادة رحلة حب للّٰه العلى العظيم حيث يناجى فيها القلب المحب للّٰه فيها ربه .. يسأله ويستعين به .. يلجأ إليه وحده .. يحكى فرحته وسعادته له معترفاً بأن هذه الفرحة التى ينعم بها من فضله هو وحده .. يشكره على الخير الكثير الذى منحه اللّٰه إياه .. وكما يحكى هذا القلب المحب فرحته وسعادته للّٰه فهو يشكو أيضاً حزنه وضيقه له سبحانه داعياً أن يفرج عنه هذا الضيق صابراً آملاً واثقاً فيه عز وجل فى أنه سيزيل حزنه ويبدل مكانه أمناً وسلاماً ولكن صبراً جميلاً .

ويوقن الإنسان المحب للَّه يقيناً كاملاً بأن العبادة ليست إلا رحلة حب للَّه العلى العظيم فهو على موعد مع اللَّه كل يوم .. ومكان اللقاء هو سجادة الصلاة التى يقف عليها بكل خشوع .. هذا هو المكان الذى يلتقى فيه باللَّه .. يركع له ويسجد ، يناجيه ، ويدعوه ، ويشكره ، ويشكو إليه همه ، ويبث إليه حزنه ، ويحكى فرحته وهناءه إليه ، ويذكره ، ويردد كلماته إنه فى هذه الرحلة على موعد مع الحب .. الحب الإلهى حيث الصفاء والروحانية .

قدسية الصلاة

ولقد جعل اللّٰه سبحانه وتعالى للصلاة أهمية كبرى وقدسية عظيمة .. فهى العبادة الوحيدة التى لم تستثنى بأى عذر من الأعذار ، وهذا دليل على قدسيتها التى لا يعدلها أهمية أى ركن من الأركان الخمسة لأنها تضم كل الفرائض الخمسة :

❑ ففيها شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمداً رسول اللّٰه .

❑ والصوم وإن كان هو الإمتناع عن شهوتى الفرج والبطن فإنه ليس مانعاً لك عن الكلام والحركة والجرى فيكون معنى الصيام فى الصلاة أكبر وأوسع .

❑ وإذا كانت الزكاة هى إستقطاع جزء من مالك الذى حصلت عليه نتيجة الوقت الذى بذلت فيه عملاً وجهداً ، فإنك فى الصلاة تستقطع جزءاً من وقت العمل لتؤديها فتكون قد زكيت بالأصل .

❑ وفى الصلاة حج أيضاً ، لأنك تتجه بوجهك نحو الكعبة .

لكل هذه الميزات إختلفت الصلاة عن بقية الأركان فى منزلتها ، فلم تفرض بواسطة الوحى ، بل بالمباشرة بين رب محمد ومحمد ، والإنسان دائماً فى حاجة إلى الإلتحام مع ربه حتى لا يحرم نفسه من التجليات والإشراقات الربانية وحتى يتذوق نسمات العطاء الربانى ، ولمسات الحنان الإلهى .

ولأهمية الصلاة لم يفرضها الحق الا من فوق سبع سموات ليلة الإسراء والمعراج ، لأن كل الفروض أوحى اللّه بها رسوله محمد ﷺ عن طريق الوحى بواسطة جبريل عليه السلام ما عدا الصلاة التى استدعى من أجلها الحق رسوله كهدية إلى أُمة محمد إلى يوم القيامة ، لذلك أوضح الرسول أن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة هى الصلاة ، فإذا صلحت صلح باقى عمله ، وإذا فسدت فسد باقى عمله لأنه مع عدم قدرة الإنسان على آداء بقية الفروض كأن يكون مريضاً غير قادر على الصيام أو فقيراً غير مستطيع الزكاة أو الحج فإنه لا يتبقى له كمسلم إلا الصلاة ، وإلا لو لم يصل فماذا بقى له من مظاهر إسلامه وإتصاله بربه ؟

لا يوجد إلا الصلاة التى هى الفارق بين المسلمين وغيرهم ممن لا دين لهم ، فمن أقامها أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين .

رحلة العمر المقدسة

والحج عبادة العمر ، ورحلته المقدسة التى يسافر فيها المسلم مهاجراً إلى اللّه ورسوله تاركاً الأهل والمال والولد والوطن ، زمانه شهر اللّه الحرام ذى الحجه ، ومكانه بيت اللّه الحرام . حيث تتعانق قداسة الزمان مع قدسية المكان مع طهارة الإنسان .

وتتميز عبادة الحج بين العبادات التى شرعها اللّه بميزتين :

- عراقتها الموغلة فى القدم التى تضرب فى أعماق التاريخ منذ عرف الإنسان « الدين الحق » من وحى السماء ودعوة الرسل الكرام من آدم عليه السلام إلى محمد النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام

- ثم ما يرتبط بعبادة الحج من قيم فاضلة وأخلاق كريمة تطهر بها النفس وتصفو بها الروح وينشرح القلب بالإيمان إستعداداً للعودة إلى اللّه بالعمل الصالح والعبادة الخالصة لوجهه الكريم .

والحج - لغة - هو التوجه والسعى إلى كل « معظم » بالزيارة . والحج - شرعاً - هو التوجه إلى بيت الله الحرام فى وقت محدد لآداء المناسك - أفعال محددة - من بينها الإحرام والطواف والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، ورمى الجمرات . وغير ذلك من مناسك الحج .

والحج من الشرائع السماوية القديمة فقد ورد فى الأثر وفى الشرائع القديمة أن أبا البشر آدم عليه السلام قد حج إلى البيت الحرام ، وأن الملائكة قد هنأت آدم عليه السلام بحجه .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] .

والبيت المقصود فى الآية الكريمة هو بيت الله الحرام ، أو البيت العتيق ، أما متى وضع البيت ، ومتى أقيم؟ فيقال أنه وضع للناس فى الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام ، وظل الناس يطوفون به على مر الأجيال القديمة ، ثم إندثرت آثاره إلى أن أظهره الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام وعرفه مكانه وكشف له عن أساساته .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الحج : ٢٦] .

ثم أمر اللّه إبراهيم أن يكشف – مع إبنه إسماعيل – عن أساس البيت وقواعده ، وأن يقيما على هذه القواعد بنياناً قوياً لكى يعود مرة أخرى « بيت اللّه الحرام » مكان للطواف بالحج للبشر .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

ويقال أن سيدنا إبراهيم ارتفع ببناء الكعبة إلى أن ارتفع البنيان عن طول قامته فطلب من ابنه إسماعيل أن يأتيه بحجر يقف عليه . واستطاع بواسطة هذا الحجر أن يرتفع بالبناء ، ويقال أن هذا الحجر الذى وقف عليه إبراهيم هو مقام إبراهيم ، وهو حجر موجود بالفعل بمكان الطواف حول البيت فى مواجهة الكعبة ، ومحاط بحزام من النحاس الأصفر وقد وردت الإشارة إلى هذا الحجر فى القرآن الكريم :

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

وإلى الجنوب الشرقى من وادى « منى » يوجد وادى عرفات ، والوقوف بعرفة هو ركن الحج الأساسى وشرط لإكتمال الحج وصحته لقول الرسول ﷺ « الحج عرفة » أى أن الوقوف بعرفة هو الحج .

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الاستطاعة شرط لوجوب الحج لقوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

[آل عمران : ٩٧] .

والاستطاعة تعنى قدرة المسلم على أداء الحج صحياً ومالياً .

روى الإمام أحمد عن الحسن رضى الله تعالى عنه قال : أنه لما نزلت آية الحج وفيها ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال رجل :

يا رسول الله ما السبيل ؟ فقال الرسول ﷺ : « الزاد والراحلة » والمقصود بالزاد : الطعام اللازم للسفر ونفقته ونفقة من يعولهم حتى عودته ، والمقصود بالراحلة - الآن - وسيلة السفر ونفقات الإقامة .

ويضيف الفقهاء إلى شروط وجوب الحج - إلى جانب الإستطاعة - البلوغ والعقل والحرية ، والبلوغ والعقل شرط كل عبادة تكليفية كالحج .

وهكذا نرى أن الحج - ركن الإسلام الخامس - فرض على كل مسلم مستطيع بالغ عاقل حر فى العمر مرة .. ويجىء هذا التوقيت بعد أن يكون المسلم قد خرج من آداء فريضة الصوم ، وقد تزود منها برياضة روحية طيبة ليستأنف رحلة روحية أخرى إلى الله تشترك فيها الروح مع البدن حيث يسارع المسلم القادر إلى الحج تاركاً الأهل والمال والولد والوطن متحملاً فى سبيل آداء عبادة العمر مشقة الطريق ، وآلام الإغتراب لكى يقف فى حرم الله ، وأشهره الحرم خاشعاً ملبياً دعوته التى دعاه بها فى كتابه الكريم :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا

ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج] .

والحج بهذا المعنى يعالج كل مكونات المسلم :

قلبه ، وبدنه ، وماله ، ولا يتوفر ذلك فى غير الحج من العبادات :

فالصلاة : عبادة روحية ، وللبدن فيها نصيب .

والصوم : عبادة روحية ، وللبدن فيها نصيب .

والزكاة : عبادة تتضمن التضحية بالمال .

لكن الحج : عبادة روحية وبدنية فى وقت واحد .

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه قال :

« سُئل رسول اللّه ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال عليه الصلاة ولاسلام : « إيمان باللّه ورسوله » . وقيل ثم ماذا ؟ قال : « ثم جهاد فى سبيل اللّه » . قيل ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » ، والحج المبرور هو الذى لا يخالطه إثم .

وقد ورد هذا الترتيب فى القرآن الكريم فلم يفصل بين الصوم والجهاد ، وبين الحج والإنفاق فى سبيل اللّه :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

ثم قال تعالى :

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾

[البقرة : ١٩٥] .

والإنفاق جهاد مالى ثم بعد الإنفاق والجهاد جاء ذكر الحج :

قال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

إذن .. فالحج جهاد .

فالصوم جهاد نفسى ، والقتال جهاد بدنى ، والإنفاق فى سبيل الله جهاد مالى .

والحج جهاد بدنى ونفسى ومالى ، إلا أنه جهاد لا قتال فيه .

ويؤكد ذلك ويؤيده ما رواه النسائى باسناد حسن عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله ﷺ قال :

« جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج » .

فالحج منهج جامع لكل عناصره قلباً وبدناً ومالاً ، فهو تكليف يشتمل على مشتقات متعددة لأنه يقيد الفعل ويقيد

زمانه ويقيد مكانه ، وليس ذلك لركن سواه ، فالشهادة تقيد فعل اللسان ولكن فى حرية من الزمان والمكان ، والصلاة تقيد الفعل قولاً وعملاً وتحدد الزمان ولكن فى حرية من المكان ، والزكاة تقيد فعل التصرف ولكن فى حرية زمان ومكان ، والصوم يحدد الإمساك عن شهوتى البطن والفرج ويحدد الزمان ولكن فى حرية مكان ، ولكن الحج يحدد كل هذه العناصر فهو مقيد فى زمن ومقيد فى مكان ، ولهذا كان التعبد فيه مركباً ، وفضل من اللّٰه أنه جعل جزاءه إذا كان مبروراً الجنة .

العبادة في الحج

العبادة شيء عظيم .. يجد الإنسان المحب لله فيها نفسه يستشعر حلاوة الإيمان .. يشعر بنسمات الأمان ينعم بحياة السلام مع كل شيء في الوجود ، ويمن الله عليه بلمسات كبرى من الحنان الإلهي والرضا الرباني .

والعبادة في الحج لها مذاق خاص .. تعجز الكلمات عن وصفه .. إنه إحساس وسلوك ويمتزج بالرهبة والخشوع والحب والرحمة والحنان والود والألفة والصدق مع النفس والإخلاص في كل شيء حباً لله وحده .. وتقرباً إليه جل جلاله .. طمعاً في مغفرته ورحمته ورضوانه سبحانه .

والقلب المحب لله له طبيعة خاصة حيث يحب كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى .. يشعر بالسلام الروحي يرفرف على قلبه .. يميل إلى الهدوء متأملاً في عظمة الخالق وقدرته وآياته الكبرى في الوجود .. هذا القلب الهادىء الطبع .. يجد نفسه في الحج تتغير طبيعته التي تأنف الزحام إلى طبيعة تزاحم إلى تلبية نداء الله لتطوف مع الطائفين موحدة ومسبحة بحمد الله .

ويسجد هذا القلب المؤمن للَّه الواحد الرحمن شكراً له عز وجل أن أعانه على آداء المناسك بإخلاص وحب طامعاً فى أن يتقبلها منه سبحانه .

فالعبادة رحلة حب نورانية حيث يشرق اللَّه على عبده المحب له سبحانه بأنواره وفتوحاته الربانية ، ولمسات حنانه الرحمانية .

وهل هذه الأنوار إلا أنوار حب من اللَّه الوهاب الكريم ؟

وهل هذه الفتوحات إلا آيات حب من اللَّه الفياض العظيم ؟

وهل لمسات الحنان الربانية وآثار الرحمة الإلهية إلا لمسات حب من اللَّه الرحمن الرحيم .. ؟

إذن هى حقاً رحلة حب نورانية مشرقة حيث يشرق الحب بأنواره على كيان هذا العبد المؤمن المحب للَّه عز وجل فيتفاعل جميع أعضاء الجسد بهذا الحب العظيم حيث تذرف العيون بدموع الحب ، ويركع ويسجد الجسد ركوع وسجود حب ، ونبضات القلب تعلن عن حبها بدقات القلب ونبضاته التى تزداد مع كل كلمة تسبيح .. ومع كل سجدة خشوع .. ومع

كل دمعة حب حتى الوجدان والكيان كله يهتز ، والأيدى ترتعش ، والجسد يرتجف حباً للّه وكأنهم جميعاً يشتركون فى هذا الحب ويهتزون ويستمتعون بكلمة لا إله إلا اللّه حيث يشعر العبد المؤمن المحب للّه بأن الأرض والسماء تهتز لهذه الكلمة العظيمة .. فيسبح كل ما فى الوجود بكلمة التوحيد تقديساً وحمداً وشكراً للّه بأنه لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له مالك الملك القادر على كل شىء الوهاب الذى يهب ويمنح كل شىء سبحانه الحى القيوم الرحمن الرحيم نور السموات والأرض رب العالمين رب العرش العظيم .

وإذا كانت العبادة رحلة حب نورانية يشرق القلب المحب للّه سبحانه وتعالى فيها بنور الحب الإلهى .. وينعم بفيض الحنان الإلهى فإن الحج رحلة حب نورانية أخرى حيث يصفو الحاج بنفسه وتصبح أعماله كلها حباً للّه يشعر وكأن هناك نوراً أحاط به من العمق .. فجعله صافياً .. نقياً .. محباً .. يشعر بالصفاء فى كل شىء يحس بالسلام مع كل شىء .. ينعم بالأمان الروحى فتصبح رحلته .. رحلة حب نورانية ينعم فيها بالنور والجمال والحنان والود . ويتغير تغيراً كاملاً وتصبح الدنيا

فى يده وليست فى قلبه ويعود من رحلته شخصاً آخر يحيط النور أعماقه والصفاء حياته .. والسلام وجدانه ولا يشغله شىء ولا يقلقه إلا أمر واحد .. هو كل هدفه كيف يحافظ على حجه فى رحلة العمر الباقية .

إذن هنا الحج رحلة حب نورانية أشرقت على قلب العبد المؤمن الحاج بأنوار الحب . فامتزجت حياته بهذه الأنوار مما جعله شخصاً جديداً طاهراً محباً لكل شىء خلقه اللّٰه حباً للّٰه .. يشعر بالصفاء النفسى مع كل شخص تقرباً إلى اللّٰه هادىء الطبع .. وديع النفس .. ترفرف أجنحة السلام الروحى على قلبه فيطمئن بحياته .. ويسعد بأيامه وبالتالى غيرت رحلة الحج هذا العبد المؤمن حيث جعلته عبداً محباً لكل ما فى الوجود .. مخلصاً حباً للّٰه وحده وتقرباً إليه سبحانه عز وجل .. طامعاً فى رحمته وعفوه ورضاه .

إن للحج شعور آخر حيث يشعر الإنسان الحاج بأن جسده على الأرض ولكن قلبه موصولاً بالسماء .. إنها رحلة تشده إلى آفاق عاليه .. ونسمات روحانية ..وفيوضات نورانية تحيط به هبة ومنحة من اللّٰه الواحد الوهاب .

الفصل الرابع

خُلق الحج وآدابه

لكل شئ فى هذه الدنيا أصول وقواعد ، وأى شئ يُبنى على غير ذلك فهو فوضى ولاشك زائل والحق دائما يُبنى على أصول وقواعد .

ولا يشذ عن ذلك .. الحج .

فالحج حتى تكتمل أركانه يمر من خلال مجموعة من الأصول والقواعد منها القواعد الخُلقية ومنها السلوكية ومنها الشعائر والعبادات الخاصة بهذا الركن .

وزينة الحج وجوهره هو الخُلق والسلوكيات .

ومن أخلاق الحج التى تؤثر على سلوك الإنسان تأثيراً كبيراً .. الصبر ، والشكر ، ضبط النفس ، المجاهدة حباً للّه وحده ، ومخالفة الهوى .. التعاون .. الرضا .. الصدق .. الإخلاص .. البر والإحسان.. المودة والألفة مع كل شئ فى الوجود .

ولا تتصور ابداً ان يكتمل حج إنسان دون أن يتطعم بهذه الأخلاقيات .. والا ما فائدة أن يقطع الواحد منا هذه المسافة دون أن تتزكى ذاته وتتحلى نفسه بخلق الحج القويم فعندها ..

وعندها فقط يحمد الإنسان ربه على نعمة الحج التى ستغمر جنبات نفسه حباً وخلقاً وسلوكاً قويما .

صبرك أيها الحاج يتجلى فى تحملك لمشقة السفر وعناءه .

إذا كنت مسافراً براً .. تتحمل مشقة الطريق وطول مسافته وربما قسوة الأجواء التى قد تمر عليك .. أليس ذلك فى سَبيل اللَّه وما أجملها من مشقة .. وما أجمله من صبر فى سبيل اللَّه .

والحاج المسافر جواً لا شك أن عليه الصبر على اجراءات السفر فى المطارات والتى تستغرق وقتا طويلا نظراً لكثافة عدد الحجاج .. أليس الصبر هنا خُلقا يجب أن يتحلى به كل حاج .. لِم لا ؟ وهو فى سبيل اللّه فما أجملها من مشقة وما أعظمه من صبر فى سبيل اللَّه .

وقد يرى الحاج حاجاً آخر يكبره سناً لا يستطيع الوقوف طويلا فيدبر له مكانا للجلوس أو يساعده فى انجاز حاجته بسرعة .. أليس ذلك تعاوناً فى سبيل اللَّه .. وأليس هذا من خُلق الحج .

مخالفتك لهوى نفسك وحبها للراحة والتكاسل وارغامها على النهوض والنشاط فى أداء العبادات .. أليس ذلك فى سبيل اللّه .. وأليس هذا من خُلق الحج .

تبرعك بوقتك ومجهودك وزادك وزوادك لأجل مساعدة حاج زميل لك أو تمريضه أو تقديم الدواء له عند الحاجة .. أليس ذلك فى سبيل اللّه .. وأليس هذا من خُلق الحج .

حبك وإخلاصك للمجموعة التى معك من الحجاج وتآلفك معهم على البر والتقوى .. أليس ذلك فى سبيل اللّه .. وأليس هذا من خُلق الحج .

صبرك على أذى الآخرين وضبطك لغضب نفسك ومعاودتها على التحمل وتجاوز أخطاء البشر .. أليس ذلك فى سبيل اللّه .. وأليس هذا من خُلق الحج .

رضاؤك بما يحدث لك من حوادث خارجة عن ارادتك وصبرك عليها لأنها من قضاء اللّه وقدره .. أليس ذلك فى سبيل اللّه .. وأليس هذا من خُلق الحج .

إن الحج أيها السادة .. ليس كلمة وإنما سلوك ومسئولية وخُلق قويم .

إذا عرفه الحاج جيداً وتحلى به .. صار انساناً آخر .. وأصبح حاجاً تتوجه أخلاقيات الحج وسلوكه .

فما أعظمه من سلوك وبارك اللّه فيه من حج .

الخلق القرآنى والآداب الإسلامية

الخُلق القرآنى نور من اللَّه عز وجل إلى العبد الصادق المؤمن ومنه يستمد الحياة والطريق إلى اللَّه فإذا صفت النفس .. وطهر القلب .. ووضحت السريرة .. وانقشعت من على النفس غمامات الحقد والحسد عرف هذا العبد الصادق طريقه .. فيكون منارا له فى حياته ، وذكرى حسنة بعد مماته ، وإرثا باقيا له فى ذمة اللَّه إلى يوم الدين .

ولقد تحلى الرسول عليه الصلاة والسلام بالخلق القرآنى القويم حيث قال اللَّه عز وجل فى كتابه الكريم :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وكما قالت السيدة عائشة رضى اللَّه تبارك وتعالى عنها عندما سُئِلت عن أخلاقه ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن »

إن الخُلق القرآنى هو الصورة الحية النابضة الكاملة التى أراد اللَّه عز وجل أن يتحلى بها عبده الصادق المؤمن حتى يكون دائما على مقربة من اللَّه فيحظى برضائه ، ويتمتع بعطائه

الفياض الغزير الذى لا حد له ولا ينتهى ابدا ، وكما قال اللّه تعالى فى حديثه القدسى :

« من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا . ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » .

ويستمد منهج التربية الإسلامية من النبع الفياض .. هدية اللّه عز وجل إلى العالمين « القرآن الكريم » الذى يرسم لنا الصورة المثلى النابضة الكاملة التى يجب أن يتحلى بها الإنسان فيستحق أن يكون خليفة اللّه فى الأرض ، ويرشدنا إلى الأسوة الحسنة التى يجب أن يقتدى بها الإنسان ويتخلق بأخلاقها متمثلة فى رسول اللّه محمد ﷺ فيسير على طريقه ويتعلم منه منهجه فى الحياة .

وللتربية الإسلامية جانبان هما :

الأخلاق القرآنية .

والآخر يتعلق بالآداب الإسلامية .

والأمة الإسلامية التى تتبع المنهج الإلهى تلتزم بآدابة وأخلاقياته هى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

ولا خير فى مجتمع يقوم أفراده على الاهتمام بتطبيق عادات الغرب وتقاليده وينسى أو يتناسى الاهتمام بيتطبيق تعاليم الاسلام وآدابه وأحكامه .

والحج المبرور هو الحج الذى لا يخالطه اثم أو ظلم أو عدوان ويعمر قلب صاحبه بالايمان والنورانية والصفاء ويهدى إلى التحلى بالخلق القرآنى والتمسك بالآداب الإسلامية حتى يفوز برضا اللّه وعفوه ورحمته ومغفرته وينال ثواب الحج المبرور وهو الجنه .

آداب شعائر الحج

لكل منسك من مناسك الحج آدابه وسلوكياته التى يجب أن يتحلى ويلتزم بها كل حاج بما يقربه إلى اللّٰه ويعينه لأداء هذه الفريضة العظيمة .

ولكل عبادة أركانها التى تقوم عليها ولا تصح الا بإتمامها . والحج - ككل عبادة أخرى - له أركانه ، والركن هو ما تتوقف عليه صحة العبادة من الأعمال وهو المنسك أو العمل الذى تؤديه ولا يجوز أن توكل به احد أو يفعله أحد غيرك .

وأركان الحج هى تلك الأعمال التى إذا ترك الحاج واحداً منها أو لم يؤده على الوجه الصحيح فإنه لا يصلح بشئ آخر من كفارة أو صدقة أو صيام أو فداء - ذبيحة أى دم - وعلى ذلك فإن الركن هو العمل الذى إذا لم يتم أو يصح فسد حجه وعلى الحاج إعادة الحج فى عام آخر .

وأركان الحج الرئيسية خمسة ولا بد من اتمامها لقوله تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

الركن الأول : الإحرام ويشمل النية

ومعناه الدخول فى حرمات الحج ، وينعقد الحج بالنية ن والنية هنا كالنية فى الصلاة محلها القلب ، ولكن يستحب التلفظ به فى هذا المقام .

وأنواع الإحرام ثلاثة هى :

الإفراد : أى الاحرام بالحج وحده من الميقات فى أشهر الحج ، فإذا فرغ من أعمال الحج أحرم للعمرة من جديد ، وطاف وسعى وأتم أعمالها .

والتمتع : أى يحرم الحاج بالعمرة فى أشهر الحج ويفرغ منها ويتحلل ثم يحرم بالحج فى عامه أى انه يعتمر فى أشهر الحج يحرم ويطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ثم يتحلل من احرامه متمتعا بحياته العادية إلى أن يحل يوم التروية – الثامن من ذى الحجة – فيحرم لأداء الحج .

والقران : وهو الجمع بين الحج والعمرة فى احرام واحد أى أن يحرم الحاج بالعمرة وفى هذه الحالة يجب ان يبقى على احرامه ولا يتحلل منه إلى أن ينتهى من أعمال الحج .

ويجب على المتمتع والقارن ان يقدم هدياً ، وهو ما يهدى إلى الحرم وساكنه من الذبائح - الإبل والبقر والغنم - فعلى المتمتع هدى لأنه تمتع بأداء العمرة ثم تحلل ثم احرم ثانيا بالحج مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ .

[البقرة : ١٩٦] .

وأما القارن فعليه هدى لأنه قرن بين النسكين فى نسك واحد .

وبعد أن يختار الحاج النُسك الذى نوى أدائه من بين الإفراد والقرآن والتمتع يصلى ركعتين سنة الإحرام ، ويستحب أن يقرأ فيهما سورتى الكافرون والإخلاص ، ثم بعد الصلاة ينوى الإحرام بقلبه وتعقب النية مباشرة التلبية :

« لبيك اللهم لبيك ..
لبيك لا شريك لك لبيك ..
إن الحمد والنعمة لك والملك ..
لا شريك لك لبيك » ..

الركن الثانى : الوقوف بعرفة

بعد طلوع الشمس يوم التاسع من ذى الحجة يتوجه الحجاج إلى عرفات مهللين « لا إله إلا اللّٰه » مكبيرن « اللّٰه أكبر » ملبين :

« لبيـــك اللهـــم لبيـــــك ..

لبيـك لا شريك لك لبيـك ..

إن الحمد والنعمة لك والملك ..

لا شـــريك لك لبيـــك » ..

وقد أجمع الفقهاء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأكبر والأساسى الذى لا يصلح الحج إلا به لحديث رسول اللّٰه ﷺ : « الحج عرفة » .

ويبدأ وقت الوقوف بعرفة أو عرفات من زوال - ظهر - يوم التاسع من ذى الحجة وحتى طلوع فجر العاشر أول ايام عيد الأضحى .

ويكفى أن يقف الحاج جزء من هذا الوقت ليلا أو نهارا ، وإلا أن الحاج إذا وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب .

هذا عن زمن الوقوف بعرفة أما مكانه فلابد أن يكون داخل وادى عرفة ، والمقصود بعرفة هو الوجود والحضور ولو كان الحاج نائما أو يقظا ، راكبا أو قاعدا ، مضطجعا أو ماشيا أو غير ذلك .

والوقوف فى عرفة شعور له مذاق خاص يشعرك بقمة العبودية للَّه عز وجل .. يعطيك الإحساس بالأمان والسلام .. هنا وفى هذا المكان الجليل العظيم .. أنت ضيف الرحمن ، ومادمت ضيف الرحمن فأنت آمن وسالم من كل سوء .

والوقوف فى عرفة هو الحضور كما ذكرنا من قبل وللمكان آدابه واحترامه التى يجب أن تلتزم بها .

ومن آداب الوقوف فى عرفة عدم تبادل أطراف الحديث مع إخوانك الحجاج فى أمور الدنيا ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم إيذاء الغير ، ومساعدة أى حاج يحتاج إلى العون سواء أكان مريضاً .. أو مسناً .. أو إمرأه .. فإن طرق الخير كثيرة فى الحج ومفتوحة دائماً ولا تحتاج إلا لصفاء النفس ونقاء القلب .. فلنسارع إلى الخيرات طامعين فى رحمة اللَّه وعفوه ورضاه وإحسانه وحبه .

ومن الآداب الهامة لهذا المكان أن تنشغل بذكر اللّه عمن سواه ، وأن تكثر من تلاوة القرآن الكريم والدعاء والإستغفار إنها لحظات جليلة تتجلى فيها الرحمة والمغفرة الواسعة .

إنها فرصة فاجعلها لا تفوتك .. ولتجعل يوم عرفة بداية لمرحلة جديدة فى حياتك .. مرحلة تسعى فيها إلى اللّه .. وطريق اللّه .. مرحلة تستعد فيها لآخرتك .. إغتنم فرصة الحج .. إنه رحمة تطهرك من الذنوب .. بأمر اللّه .. وبمشيئة اللّه .

واعلم أن الشيطان لن يتركك لأنه كلما إزددت إيماناً بذل الشيطان جهداً أكبر ليغريك بالمعصية .. فليكن الحج بداية لهجر المعاصى والإقبال على طاعة اللّه .. عبادة ، وخلقاً ، وسلوكاً حباً للّه وحمداً وشكراً له وحده جل جلاله .

الركن الثالث : طواف الإفاضة :

وهو ركن رئيسى من أركان الحج لقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

والطواف هو الدوران حول الكعبة سبعة أشواط ، وطواف الإفاضة هو طواف الحاج ببيت اللّه الحرام بعد النزول من

عرفات ، وذكر اللّٰه عند المشعر الحرام بالمزدلفة والإنتهاء من رمى جمرة العقبة .

ونية الطواف هى عزم القلب على الطواف بالبيت الحرام تعبداً للّٰه تعالى ، ويستحب للطائف أن يذكر اللّٰه خلال الطواف ويدعو ويقرأ ما تيسر من القرآن الكريم .

وفى الكعبة وعندما تطوف ببيت اللّٰه الحرام يشعرك المكان كله بالرهبة والخشوع والحب الإلهى .. تحس بالصفاء يحتويك ، وأجنحة السلام الروحى ترفرف على قلبك ونفسك .

ولطواف بيت اللّٰه الحرام آداب واحترام وقدسية تجد نفسك تلتزم بها حيث الصمت والبكاء .. البكاء من الرهبة .. البكاء من الخشوع .. البكاء من قمة الحب الإلهى وتجد نفسك عاجزاً أمام حب اللّٰه .. لا تعرف كيف تشكره وتحمده على لمسات حنانه عليك وأنه سبحانه أنعم عليك واختارك لتلبى دعوته فى أداء فريضة الحج وجاءت الفرصة لتطوف بيته فلتذكره كثيراً وتحمده كثيراً راكعاً ساجداً حباً وحمداً وشكراً

له .. ساعياً إلى طريقه .. وتشعر فى كل لحظة إن كل ما تقدمه من عبادات لا يكفى حمداً وشكراً على نعمه .

إنها لحظات تتجلى فيها قمة العبودية للّه .. وقمة الحب الإلهى .. ولمسات حنانه .. وآثار رحمته .. ولا تستطيع غير أن تقول بكل ذرة فى كيانك وبإخلاص وصدق وصفاء لا يعلمه إلا اللّه وحده .

[الحمد للّه رب العالمين]

بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى الحمد والشكر والثناء على اللّه .

وتطوف السبعة أشواط فرحاً .. سعيداً .. مستبشراً .. آمناً .. مطمئناً .. لا تعرف كيف أديت الطواف بهذا النشاط وبهذه القوة وسط هذا الزحام الهائل وأنت الإنسان المحب للهدوء فى كل مكان .

إنه بلا شك فضل اللّه عليك .

وتنتهى السبعة أشواط بسرعة فائقة تزيدك تأدباً مع اللّه .. إيماناً باللّه .. حباً للّه .. داعياً اللّه أن يهذبك ويؤدبك ويقوّمك

ويجعلك فى الصورة التى يرضى بها عنك ويهديك إليه وإلى صراطه المستقيم .

ويشترط لصحة الطواف ما يشترط لصحة الصلاة عند الشروع فيه كما يشترط أيضاً تتابع الأشواط ولا يجوز للحاج أن يؤذى الطائفين بالمزاحمة أو الدفع . والمزاحمة التى تؤدى إلى الإيذاء غير مطلوبة ، والذى يتعب الحاج فى أداء مناسك الحج هو سلوك بعض الحجاج أنفسهم .. فمثلاً إنسان يريد أن يطوف من الناحية الضيقة القريبة من الكعبة ولا يريد أن يطوف من الناحية الواسعة مع أن كل واحد منا لو طاف دون أن يحاول أن يتقدم على غيره أو يضايقة أو يصطدم به لتم كل شئ فى سكينة ويسر .

وبعد إنتهاء أشواط الطواف السبعة يصلى الحاج ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، ويفضل أن يقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة « سورة الكافرون » وفى الركعة الثانية « سورة الإخلاص » .

الركن الرابع : السعى بين الصفا والمروة :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

والسعى هو الانتقال من الصفا إلى المروة وبالعكس سبعة أشواط ، والصفا هو جبل صغير قريب من الكعبة يبدأ من عنده السعى فى إتجاه المروة ، وأما المروة جبل صغير آخر فى مواجهة جبل « الصفا » ويتم السعى بينهما ويبلغ طول الطريق بين الصفا والمروه حوالى ٣٧٥ مترا ويقع داخل حدود الحرم المكى وله دور علوى لتيسير السعى خلال موسم الحج .

ويشترط لصحة السعى بين الصفا والمروة ما يلى :

- أن يكون السعى سبعة أشواط تبدأ بالصفا وتختتم بالمروة ولا يجوز للحاج أن ينقص عدد الأشواط أو يقصر من مسافة كل شوط .
- أن يقع السعى فى ترتيب المناسك وأعمال الحج والعمرة بعد طواف صحيح .
- لابد من تتابع الأشواط متصلة .

- أن يكون السعى فى المسعى وهو الطريق الممتد بين الصفا والمروة لفعل رسول اللّه ﷺ مع قوله : « خذوا عنى مناسككم » .

والسعى بين الصفا والمروة يذكرك بقصة سيدنا إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر عندما تركها سيدنا إبراهيم عليه السلام عند بيت اللّه الحرام ومعها زاد قليل لم يلبث أن نفد وجاعت الأم وعطشت وجاع إبنها الرضيع وعطش ، وأصبح يتلوى باكياً صارخاً فى منظر يفتت القلوب ولم تتحمل الأم رؤيته على هذه الحالة فانطلقت تنظر إليه على هذه الحالة فوجدت الصفا أقرب المرتفعات فأسرعت نحوه وارتقت عليه وأخذت تجيل بصرها فى الوادى هل ترى من أحد فلم تر احدا .

فهبطت من الصفا وسعت سعى الإنسان المجهود وقد أنهكها الجوع والعطش تدفعها عاطفة الرحمة بابنها وأخذت تسعى حتى جاوزت الوادى ووصلت إلى جبل المروة فارتقته واخذت تنظر وعادت من جديد هابطة وهكذا اخذت تتردد بين الصفا والمروة سبع مرات .

وهذا هو أساس منسك السعى بين الصفا والمروة فى شعيرة الحج . ان الحاج إلى بيت اللّٰه الحرام يسعى بين الصفا والمروة سبع مرات انه فى هذا يترسم خطا هذه السيدة انه يرسمها مستشعرا ما كانت تشعر به من رحمة وحنان .

وإذا كانت رحمتها وحنانها إنما كانا من أجل ابنها الرضيع المسكين فإن الرحمة التى ينبغى أن يستشرف إليها الحاج راجيا أن تملأ نفسه وأن تفعم جوانحه انما هى الرحمة الانسانية جمعاء .. الرحمة بكل من يحس بالألم أو يشعر بالضيق بسبب ما يحل به من جوع أو ظمأ ، أو يسبب ما يحيط به من مكر وكيد ، أو بسبب ما يشعر به من خوف وقلق ، الرحمة بكل من كان فى حاجة إلى الرحمة .

ومن آداب هذا المنسك أنه يعلمنا الصبر والرحمة والحنان والارتباط باللّٰه وحده ، والثقة باللّٰه وعنايته ورعايتة فبالرغم من حالة الحيرة والقلق التى احتوت نفس هاجر على ابنها الرضيع وأخذت تسعى باحثة عن أحد أو عن زاد وماء لإبنها ولنفسها ولكنها فى نفس الوقت بل وفى نفس لحظات القلق التى

انتابتها كان عندها ثقة ويقين بالله بأنه مادام هذا هو أمر الله إذن لن يضيعهما أبداً وتلك هى قمة الإيمان الذى تتجلى فيه أجمل معانى الإرتباط بالله والثقة فى الله واللجوء إلى الله والاستعانه به هو وحده مالك الملك رب كل شئ ، رب العالمين ، رب العرش العظيم .. عندما يشاء يسخر كل شئ لإرادته ومشيئته وحده .

وأنت أيها الحاج إذا كنت محباً لله تسعى إليه وإلى طريقه تؤدى هذه الشعائر بحب وبإحساس عميق يملأه الإخلاص والصدق وليس مجرد حركات تقوم بها تجد نفسك وأنت تسعى بين الصفا والمروة تشعر بالرحمة تحتويك لا تعلم من أين جاءت ، وتحس بالحنان والود لكل شئ والألفة مع كل شئ . رحمة تعلمك الصبر .. ود يدفعك إلى الهدوء والسلام وبذلك تقتل كل ما فى نفسك من غرور وكبر وتسلط ورياء .

الركن الخامس : الحلق والتقصير :

قال اللّه تعالى :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ ﴾

[الفتح : ٢٧] .

والحلق : هو حلق شعر الرأس كله ، وهو للرجال أفضل من التقصير وهو محظور بالنسبة للمرأة .

أما التقصير : فهو قص بعض الشعر على جانبى الرأس ، وبهما يتم التحلل من الإحرام .

يرى بعض الفقهاء أن الترتيب بين معظم أركان الحج يمثل - فى حد ذاته - ركنا آخر من أركان الحج كما يرى الشافعى مثلا بينما يرى باقى الفقهاء أن الترتيب شرط لأركن ، ولكن يشترط تقديم الإحرام على جميع أركان الحج الأخرى ، وتقديم الوقوف بعرفة على طواف الإفاضة ، كما يشترط فى السعى أن يكون بعد طواف صحيح حول البيت الحرام .

هناك أعمال أخرى تأتى بعد أركان الحج وشروطه وهى واجبات الحج .

والواجب هو العمل الذى لو تركه الحاج لم يبطل حجه ، ولكنه يأثم إذا تركه متعمداً ويجب عليه فى حالة عدم أدائه أصلا أو الإخلال بأدائه على الوجه الصحيح أن يذبح فداء – أى يجب عليه دم – وواجبات الحج المتفق عليها أربعة هى :

١ – الإحرام من الميقات للقادم من خارج الحرم وهو واجب متفق عليه لحديث الرسول ﷺ :

« ولا تجاوزوا الميقات إلا بإحرام » .

والمراد هنا هو الميقات المكانى ، ومن عبر الميقات دون أن يحرم فعليه ذبح شاة .

٢ – النزول إلى المزدلفة والدعاء عند المشعر الحرام :

عقب غروب شمس التاسع من ذى الحجة وبعد الفراغ من الوقوف بعرفات يبدأ الحجاج فى النزول إلى المزدلفة ، والنزول هو الإفاضة التى ذكرها اللَّه عز وجل فى كتابه الكريم :

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾ [البقرة: ١٩٨] .

والفائض هو الشئ الذى يزيد ويفيض عن المألوف والإفاضة هنا بمعنى دفعتم منها بكثرة .

وهذا حكم من الله مسبق بأن عرفات ستمتلئ عند الخروج منها إمتلاء يكون فائضاً عن العدد المحدد لها فكأنه يفيض .

وهناك إفاضة ثانية بعد الإفاضة من عرفات هى الإفاضة من المزدلفة إلى منى التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾

[البقرة : ١٩٩] .

وعندما يصل الحاج إلى المزدلفة يصلى المغرب والعشاء بها جمعاً وقصراً جمع تأخير بآذان واحد وإقامتين ، والجمع بين المغرب والعشاء فى المزدلفة سنة عن الرسول ﷺ ، والمبيت بالمزدلفة واجب ويرى بعض الفقهاء أن الواجب يقتصر على الحضور إلى المزدلفة قبل فجر يوم العيد وكما يتحقق الوقوف بعرفة بأى شكل كذلك يتحقق الوقوف بالمزدلفة بمجرد الوجود بأى شكل سواء كان الحاج واقفاً أو سائراً أو نائماً .

ومن الآداب التى يجب أن يلتزم بها الحاج فى هذا المكان التزام الهدوء والإكثار من الذكر والتسبيح والحمد والدعاء .

ومن السنة أن يصلى الحاج الفجر لأول الوقت بالمزدلفة ثم يقف بالمشعر الحرام وهو ويقع فى نهاية المزدلفة ، وقبل منى بقليل إلى أن تطلع شمس أول أيام عيد الأضحى .

ويجوز للحاج أن يتوجه من المزدلفة إلى منى مبكراً بعد منتصف الليل استعداداً لرمى الجمار .

٣ - المبيت بمنى :

وفى صباح يوم العيد يتوجه الحجاج من المزدلفة إلى منى إستعداداً لرمى الجمرات ويجوز له التوجه مبكراً بعد منتصف الليل ، وعلى الحاج أن يكثر من التلبية خلال رحلته من المزدلفة إلى منى ، وعليه أن يتوقف عند التلبية عن بدء رمى جمرة العقبة الكبرى .

ومن واجبات الحج المبيت بمنى ليلة الحادى عشر ، والثانى عشر من ذى الحجة للمتعجل ، وليلة الثالث عشر لمن أراد البقاء .

ويسقط واجب المبيت بمنى عن أصحاب الأعمال الضرورية أو للأعذار الشديدة كما يجوز ذلك لمن أراد متى تم رمى الجمرات فى أوقاتها .

كما يجوز البقاء بمكة حتى منتصف الليل ثم إتمام باقى الليل فى « منى » ويكره للحاج ألا يبيت فى منى ويلزم لمن لم يبت بها أن يجئ إليها لرمى الجمرات ويجوز رمى الجمرات فى كل وقت ولكن الرمى بين الظهر والمغرب أفضل .

٤ - رمى الجمرات :

يبدأ الحاج أعمال يوم النحر - أول أيام عيد الأضحى - برمى جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات متعاقبات ،ويرفع الحاج يده مكبراً عند رمى كل حصاة ، ويمكن الرمى فى أى إتجاه بشرط أن يتأكد الحاج من وقوع الحصى داخل المرمى المحدد .

ويرمى الحاج فى ثانى أيام العيد الجمرات الثلاث مبتدئاً بالصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى : ٢١ حصاة للجمرات الثلاث فى كل يوم من أيام التشريق الثلاثة ، ثانى وثالث ورابع

أيام عيد الأضحى المبارك بمعدل سبع حصوات لكل جمرة وبذلك يكون مجموع ما رماه - بما فى ذلك حصى جمرة العقبة الكبرى أول أيام العيد سبعون حصاة .

ويقتصر الرمى أول أيام العيد على جمرة العقبة الكبرى ويبدأ الرمى من ظهر كل يوم من أيام التشريق وحتى غروب الشمس ويجوز فى كل وقت ولكن يفضل الرمى بين الظهر والمغرب .

ويجوز للحاج الذى لا يستطيع الرمى - للمرض مثلاً - أو الحاج المسن أن ينيب من يرمى بدلاً منه بعد أن يكون قد رمى عن نفسه ، وكذلك المرأة يجوز لها أن توكل من يرمى بدلاً منها فى حالة عدم إستطاعتها أن ترمى ينفسها .

وحكمة رمى الجمار فى الحج إنما هى رجم مصدر من أهم مصادر الشر والإثم والمعصية وهو إبليس .

وتبدأ قصة الرجم عندما إستعد سيدنا إبراهيم عليه السلام لتنفيذ الرؤيا التى رآها طاعة لأمر اللّه حيث رأى أنه يذبح إبنه إسماعيل ، وتهيأ كل شيء لتنفيذ الرؤيا بعد أن أخبر سيدنا إبراهيم عليه السلام ابنه بأمر اللّه ، والحكمة فى مشاورة الابن إن

أحب الوالد أن يأتي إبنه رغبة وطاعة فيكون له الأجر والثواب واستسلم الأب والابن لأمر الله بحب ورضا .

وجاء الشيطان يوسوس إلى إبراهيم عليه السلام موحياً بأن الأمر لا يخرج عن أن يكون رؤيا ، وكم من الرؤى من أضغاث أحلام وهل من العقل أن يذبح إنسان إبنه مطيعاً رؤياه .

وأحس سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن الشيطان يريد أن ينفذ إلى قلبه ، وإلى تفانيه فى الله ، وإلى موطن اليقين والرضا من قلبه ، وعرف أنه يريد أن يفسد عليه طاعته لله ..

فرجم الشيطان بسبع حصيات ورده خاسئاً مدحورا .

ولم ييأس الشيطان وهو العنيد اللجوج ، فانصرف عن الأب إلى الإبن ، وأحس الإبن بالمحاولة الخبيثة وعرف إنها محاولة شيطانية فرجم الشيطان بسبع حصيات .

ولم ييأس الشيطان للمرة الثالثة فذهب مسرعاً إلى الأم يحذرها من ذبح إبنها ويطلب منها أن تنقذه قبل فوات الأوان ولكنها رجمت الشيطان لثقتها بأن زوجها لا يتصرف إلا فى إطار الوحى ، لقد رجمته هى الأخرى بسبع حصيات .

وهكذا رجم الجميع مصدراً من أهم مصادر الشر وهو الشيطان ، وأصبح هذا السلوك منسكاً من مناسك الحج وبه تنتهى أعمال الحج حيث أن رمى الجمرات يبلور عزم الحاج على هجر المعصية والابتعاد المطلق عن الإثم .. فإنك حينما تأتى لترجم الشيطان فأنت فى الواقع تريد أن تسد عليه المداخل التى يدخل منها إلى نفسك .

وعند رمى الجمرات يجب أن يلتزم الحاج بالهدوء والنظام وأن يعقد العزم والنية على ألا يعود إلى المعصية وأن يصمم على ألا يعطى للشيطان فرصة للتسلل إلى نفسه فيفسد عليه طاعته للّٰه عز وجل ، وأن ينشغل دائماً بذكر اللّٰه فى كل لحظة حتى يصبح فى دائرة النور الإلهى .

٥ - طواف الوداع :

وبعد أن يكون الحاج قد أدى ما عليه من أركان الحج وواجباته : من الطواف حول البيت ، والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة فى الوقت المحدد ، والدعاء عند المشعر الحرام بالمزدلفة ، ورمى الجمرات فى منى .. فله أن يقيم بمكة

المكرمة مستمتعاً بالطواف بالكعبة والنظر إليها .. فالنظر إليها عبادة والصلاة بالمسجد الحرام والدعاء والإبتهال وتلاوة القرآن الكريم إلى أن يحل موعد سفره عائداً إلى وطنه أو مواصلة رحلته المقدسة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة لمن ذهب إلى مكة أولاً .

فليكن آخر ما تفعله عند مغادرة مكة قبل السفر مباشرة أن تودع البيت بطواف الوداع .. تطوف وتدعو أن يتقبل أعمالك ويتجاوز عما كان منك من خطأ أو نسيان وأن يعيدك مرات ومرات ولا يجعل هذا آخر عهدك بالبيت .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص : ٨٥] .

وطواف الوداع ليس ركناً من أركان الحج ولكنه واجب من واجباته .

هكذا علمنا الله شعائر الحج وأخذناها عن رسوله الكريم حيث قال ﷺ : « وخذوا عنى مناسككم » .

ويجب على الحاج أن يكثر من الثناء على الله لتفضله عليه بتيسير هذه الرحله المباركة ، وجاء بكم مؤمنين لبيت الله

الحرام ثم تعودون .. وهذه مسألة تستحق الشكر والعرفان وأن يوالى الذكر لقوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨] .

لأن هدايته لكم علمتكم أقصر طريق إلى الخير .. وعلمتكم طريق المغفرة .. ويسرته لكم مالاً وصحة وسعياً .. ولذلك فإن هذه الهداية من اللَّه تستحق الذكر والشكر .

ولكل منسك من مناسك الحج سواء أكان ركناً أو واجباً آدابه وأخلاقياته التى يجب أن يتزكى بها الحاج ، ومن يحب اللَّه يسعى للإلتزام بآداب شعائر الحج .

فأنت عندما تنوى الإحرام لأداء فريضة الحج تشعر وكأنك ملاك يمشى على الأرض .. تحس بالنقاء والصفاء يحتويك وترى أن الدنيا صغيرة جداً ولا تستحق أن تسرع إلى ملذاتها وتنغمس فى شهواتها ناسياً اللَّه وفضل اللَّه عليك .

فى هذه اللحظة .. وهذه اللحظة فقط تتضح الرؤية أمامك وتعقد العزم على أن تكون الدنيا فى يدك وليست فى قلبك ، وأنت الذى تملكها وليس هى التى تملكك .

وتسعى إلى التفكر فى الخلق القرآنى ، والآداب الإسلامية طامعاً فى أن تتحلى بسمات وسلوكيات العبد الصالح الذى يرضى عنه الله ويستحق أن يكون خليفته فى الأرض .

إن شعائر الحج جميلة ومحببة إلى النفس .. وآدابها سامية تعلو بالنفس إلى درجة من درجات الترقى والفضيلة والإحسان حيث يحتذى الإنسان المحب لله بآدابها وأخلاقياتها النابعة من آداب الإسلام ، وأخلاق القرآن الكريم ، وسلوكيات الأنبياء عليهم جميعاً السلام فى مواقف الحياة المختلفة .

قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] .

ولقد ربط سبحانه وتعالى تعظيم شعائره بالتقوى ، والتقوى هى أن يقى الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالإبتعاد عن إرتكاب المعاصى والالتزام بمنهج الله تعالى الذى رسمه لنا فى القرآن الكريم ، وبينه لنا رسول الله ﷺ فنفعل ما أمرنا الله تعالى به ونبتعد عما نهانا عنه .

ويتضمن مفهوم التقوى أيضاً أن يتوخى الإنسان دائماً فى أفعاله الحق والعدل والأمانة والصدق وأن يعامل الناس بالحسنى ، ويتجنب العدوان والظلم ، وأن يؤدى الإنسان كل ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه لأنه دائم التوجه إلى اللّه تعالى فى كل ما يقوم به من أعمال إبتغاء مرضاته وثوابه .

وبهذا المعنى تصبح التقوى طاقة موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن ونحو نمو الذات ورقيها ، وتجنب السلوك المنحرف الشاذ .

وكل هذه الصفات من آداب شعائر الحج وأخلاقياته التى يجب أن يلتزم بها الحاج فى رحلته ، وبهذه الأخلاقيات يعظم شعائر اللّه ، ومن يعظم شعائر اللّه يحظى بصفة التقوى ويصبح من المتقين .

ولنتأمل التعبير القرآنى حيث أثنى اللّه عز وجل على من يعظم شعائر اللّه أنها من تقوى القلوب .. فالقلب هو محل التقوى .

ولا يرتبط تعظيم شعائر اللّه بكيفية عمل أو أداء هذه الشعائر فقط وإنما تعظيمها عبادة وخلقاً وسلوكاً مما يكون له الأثر الفعال فى حياة الإنسان المختلفة .

وهكذا يعود الحاج من رحلته شخصاً جديداً .. إنساناً آخر وكأنه ولد من جديد .. يبدأ صفحة جديدة فى حياته .. يتملكه حب اللّٰه .. ويسكنه نور اللّٰه .. يضىء حياته بسلوكياته التى تقربه إلى اللّٰه ، وينير طريقه بعمله الصالح الذى يُرضى اللّٰه .. فيهجر المعاصى ، ويبتعد تماماً عن الآثام والخطايا ، ويتخذ الشيطان وحلفاؤه وأولياؤه أعداء له .. يرجو من اللّٰه أن ينجيه منهم ويرحمه وألا يكون لهم عليهم من سلطان .

« اللهم لا تسلط علينا من لا يخافك
ولا يخشاك ، اللهم لا تولى أمورنا إلى من
لا يرحمنا ، واحمنا ونجنا من القوم الظالمين
وارحمنا واحفظنا فأنت سبحانك خير
الحافظين وارحم الراحمين » .

وبذلك يصبح خُلق الحج وآدابه نبراساً للحاج يضىء له الطريق فى رحلة عمره الباقية .

سلوكيات تتنافى مع عبادة الحج

الحج عبادة وليس نزهة ولابد من احترام مناسك الحج واتباع السلوكيات التي تتفق مع ديننا الحنيف نابعة من الأخلاق القرآنية والآداب الإسلامية والاقتداء برسول الله ﷺ .. الأسوة الحسنة لنا فى كل زمان ومكان .

ومن المؤسف أننا نلاحظ بعض السلوكيات أثناء الحج بين بعض الحجاج التى لا تتوافق مع ديننا الحنيف مثل : المزاحمة الشديدة وعدم ترك مكان للغير لكيى يؤدى العبادة وشغل مساحة كبيرة من المكان لفرد واحد وعدم التعاون فى افساح المكان لللآخرين لأداء العبادة .

إن ظاهرة حجز الأماكن فى المسجد الحرام منتشرة وخاطئة حيث يحجز بعض المصلين من أهل مكة أو غيرها أماكن فى الصفوف الأولى .. هذه الأماكن ليست من حقهم لأن الصف الأول لمن دخل المسجد أولاً .. لأنه الأحق به ..

والنظام المتبع فى المساجد أن يجلس كل واحد بجانب أو خلف من سبقه فى الدخول .. فإذا امتلأ الصف الأول يأتى الصف الثانى ثم الثالث ثم الرابع .. بحيث كل من يأتى يجد المكان المناسب له .

لقد نهى رسول الله ﷺ عن حجز الأماكن فى المساجد لأنها محاولة للتميز فى مقام الحضرة الإلهية التى يتساوى فيها الجميع .. ولا يوجد مكان يحجز فى المسجد إلا مكان الإمام .. ويجعل له طريق بحيث يستطيع أن يذهب ليؤم الناس دون أن يتخطى الرقاب أو يؤذى احدا .

يزدحم المسجد الحرام فى موسم الحج بالحجيج .. وكثير من الناس يتزاحمون فى دخول المسجد فى الوقت الذى يتزاحم آخرون على الخروج .. فيصطدم الداخلون والخارجون .. وبعضهم لا يجد مكاناً للصلاة داخل المسجد والسبب انهم يعتقدون ان الصلاة داخل جدران المسجد مضاعفة للثواب .. أما خارجه فلا .

ونود أن نشير إلى أنه فى حالة ضيق المسجد بالمصلين وصلى الحاج خارج المسجد فإن له نفس الثواب مادامت الصفوف متصله .. فإذا انتهت الصلاة تنتهى المسجدية بالنسبة للطريق .

فى نهاية الطواف يصلى الناس ركعتى سنة عند مقام سيدنا ابرهيم عليه السلام حيث قال اللّه سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾

[البقرة : ١٢٥] .

فإن هذا المكان يزدحم ازدحاماً شديدا وخاصة فى موسم الحج حيث يتعرض المصلين فى هذا المكان إلى مرور الطائفين حول الكعبة أمامهم وهم يصلون ، واحيانا يصل الأمر إلى أن يمتد الطواف حتى يصل إلى مكان المصلين مما يجعل هذا المكان شديد الازدحام مما يدفع الحاج أن يؤدى الصلاة سريعا دون خشوع حتى لا يتعرض إلى الزحام الشديد وبالتالى إلى الأذى .

وهنا دعوة إلى المسئولين ورجال الدين فى السعودية للعمل على ايجاد حل فى هذا الأمر لمساعدة الحجاج على أداء الصلاة فى خشوع وثبات وهدوء فى هذا المكان المزدحم دون

عجلة ودون خوف من التزاحم الشديد مما يؤثر ذلك على أداء الصلاة التى من أهم متطلباتها الصفاء والخشوع .

ومن السلوكيات الشائعة .. والتى تتنافى مع عبادة الحج الاساءة بألفاظ اعتراضية غير لائقة تجرح الحاج مما يظهر عدم التعاون واهتمام الفرد فقط بمصلحته وحاجته الخاصة دون مراعاة للآخرين مما يفسد عليه حجه وصفاءه فى هذه الرحلة المقدسة .

ومن المفاهيم الخاطئة والشائعة والتى قد يلاحظها كل زائر إلى مكة أو المدينة المنورة التمسح على الجداران ثم المسح على الوجوه بقصد البركة وهذا سلوك خاطئ وضد تعاليم الإسلام .. لان البيت الحرام والمسجد النبوى الشريف تملأهما البركة .. بركة الرضا .. وبركة منع الأذى عن الناس ، وبركة الإيمان وبركة خشية اللّٰه ، وبركة قتل الغرور فى النفس .. انها بركة واسعة تمتد من الدنيا إلى الآخرة .

ولا توجد فترة يعيش فيها الإنسان منهج اللّٰه اكثر من فترة الحج .. قبل الآذان يهرول إلى بيت اللّٰه الحرام ، ويظل جالسا

يصلى ويسبح ويقرأ القرآن ويستحى أن يقدم على معصية .. أو يمر عليه الوقت ولا يصلى جماعة .. ولا يشغل نفسه إلا بطاعة اللّه .

وأن البركة تطلب من اللّه وليست من التمسح بالجدران والعبد الذى يحب اللّه ويخشى اللّه يطلب دائما ويلح فى طلبه أن يمن اللّه عليه بالبركة فى كل لحظة فى حياته .

إن البركة مطلب ضرورى للانسان ولا تأتى إلا من رضا اللّه وبرحمة اللّه ، ولا تمنح الا لمن يشاء اللّه أن يعطيه ويمنحه من فضله العظيم وعطاءه الفياض .. انه هو سبحانه الوهاب .

وننتقل فى حديثنا عن السلوكيات التى تتنافى مع عبادة الحج من مكة إلى المدينة المنورة عند زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام فنلاحظ الصلاة عند قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وشغل مساحة كبيرة للصلاة فى هذا المكان مما يعيق حركة السير والمرور للآخرين لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام .

ونود أن نشير إلى أنه يفضل الصلاة عند الروضة الشريفة فالصلاة هناك لها ثواب وفضل كبير أما مكان قبر الرسول ﷺ

فهو مخصص لزيارته والسلام عليه ﷺ وحتى تتاح الفرصة والمكان لأكبر عدد من الزائرين القيام بهذه الزيارة المباركة .

هناك سلوك آخر ملحوظ عند قيام النساء بالزيارة وعندما يقتربن من قبر الرسول عليه الصلاة والسلام تنتشر الزغاريد فى كل مكان .

صحيح أنه سلوك فطرى يعبر عن فرحتهن وشكرهن للّه لأنه وفقهن ويسر لهن زيارة الرسول صلى اللّه عليه وسلم ولكن للمسجد قدسيته واحترامه وهيبته ونرى انه من الافضل أن يسجدن حمدا وشكرا للّه ويكثرن من التسبيح وذكر اللّه وحمد اللّه كتعبير عن فرحتهن وامتنانهن للّه سبحانه وتعالى الذى حقق لهن أداء هذه الزيارة وبذلك يتوفر ويتحقق للمكان القدسية والرهبة والخشوع الذى يصاحبه الهدوء والسلام .

وهناك صفة سائدة وملازمة لبعض الحجاج ونلاحظها فى مكة أو المدينة المنورة وهى الدفع بالايدى مما يؤذى الإنسان الضعيف أو المسن أو المرأة .

وفى البداية والنهاية لا أستطيع غير أن أسجل شيئا هاما وهو أننا فى أشد الحاجة لمراعاة قول اللّه تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة :٢] .

فلنتعاون ونتحد جميعا ونفسح لبعضنا البعض ونحرص على مساعدة بعضنا لأداء فريضة الحج بسلام ، ولأداء العبادة بهدوء وثبات وأن نتمسك بتعاليم ديننا الحنيف ونبتعد عن المفاهيم والسلوكيات التى تتنافى مع أخلاقيات دين الإسلام .. الدين الذى اصطفاه الله لنا ، والذى إن تمسكنا به لم نضل أبداً .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

[آل عمران : ٨] .

إننا جميعا فى موسم الحج فى معية الله وضيوف الرحمن .. فلننتهز هذه الفرصة لننعم بالفيوضات الإلهية .. والتجليات الرحمانية .. والفتوحات الإشراقية فيصبح الحاج عبداً نورانيا بأمر الله .. وبرحمة الله .. يحتويه نور الله .. ويسكنه حب الله .. ويملأه الرضا والسكينة والسلام .

الفصل الخامس

عيد الحب العظيم

عندما يهل علينا عيد الأضحى المبارك تتجلى أمامنا آية من آيات الحب الإلهى .. ففى نفس الوقت الذى يحتفل به المسلمون بذبح الأضاحى ، يحتفلون بقصة حب الإنسان للّٰه عز وجل .. بقصة النبى الذى أمره اللّٰه أن يذبح ولده فأطاع وكانت طاعته إشارة إلى أن المسلم هو الذى يحب اللّٰه أكثر مما يحب لنفسه أو أبناءه .

والحب هو إكسير الحياة ، ونبض الوجود ، وسر السعادة القلبية ، وأعظم أنواع الحب هو الحب الإلهى .. منه ينبع الحنان ، وبه يستقر الأمان ، وفيه تسكن المودة ، وعنه نتبعث الالفة مع جميع الكائنات والمخلوقات ، وإليه يصل القلب إلى الغاية المنشودة وهى السعادة الكاملة حيث يكمن الحب والحنان الإلهى ، والنور الربانى ، والفيض الرحمانى .

ولأن الذكرى تنفع المؤمنون فنحن فى عيد الأضحى المبارك نذكر ونتذكر قصة إبراهيم عليه السلام وهو النبى الذى ابتلاه اللّٰه ببلاء مبين .. بلاء فوق قدرة البشر حيث ابتلاه اللّٰه بذبح ابنه الذى جاءه على كبر .. وكان إبراهيم هو العبد الذى وفى .

قال تعالى فى سورة النجم :

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾

لقد كان ابتلاء اللّٰه لإبراهيم بلاءاً مبيناً ، وكان إسماعيل ابنه من الصابرين على هذا البلاء .

وهنا أثبت إبراهيم بطاعته لأمر اللّٰه بأن حبه للّٰه أعظم واهم من أى شىء آخر .. فجاءت رحمة اللّٰه ولمسات حنانه له بأن فدى اللّٰه إسماعيل بذبح عظيم وبذلك تكون طاعة سيدنا إبراهيم عليه السلام لربه عيداً يحتفل به المسلمون كل عام .. عيداً يذكرهم بمعنى الاسلام الحقيقى الذى كان عليه إبراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ويذكرهم بقصة حب الإنسان للّٰه وطاعته لأمره حباً له هو وحده .

وبذلك يصبح عيد الأضحى المبارك هو عيد الحب العظيم .

وإذا تأملنا فى قصة إبراهيم عليه السلام نجد أنها قصة تباور دمة الحب للّٰه الذى تغلغل فى كيان سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى أصبح يحيا به وله ، وما أثمر هذا الحب من صفة الطاعة لأمر اللّٰه حباً له وحده ، والصبر على بلاء اللّٰه تقرباً إلى اللّٰه .

وتتبلور أمامنا فى هذا البلاء العظيم وكما تكشف لنا الأحداث من قصة إبراهيم عليه السلام صفة الصبر الذى انصف به سيدنا إبراهيم صبره على ابتلاء اللّه له حباً له وحده ، وصبر إسماعيل عليه السلام حيث تقبل أمر اللّه برضا وحب .. فأنعم اللّه عليهما بلمسات حنانه وآيات حبه ونسمات رضاه بأن انقذهما جزاء على صبرهما وطاعتهما لأمر اللّه .

وإن دل هذا كله على شيء فإنما يدل على أن الإنسان الذى يسلك طريق الحب الإلهى وتحيا نبضاته بحب اللّه تهون أمور الدنيا أمامه ولا يسعد بشيء الا بحب اللّه فقط فيعمل ويسلك طريقه حباً للّه ، ويصبر على ابتلاء اللّه له حباً له حامداً شاكراً راضياً سعيداً بما آتاه اللّه طامعاً فى رحمة اللّه ورضاه ساعياً إلى القرب منه وحده .

وما أحوجنا فى هذه الأيام ونحن نشاهد صور الإرهاب فى كل مكان إلى أن نقف وقفة مع أنفسنا ونحن على جبل عرفات متضرعين إلى اللّه سائلين اياه الرحمة والمغفرة نتذكر قصة إبراهيم عليه السلام .. قصة الحب العظيم ونستفيد منها دروساً

فيها العبرة والموعظة مليئة بلمسات حية ناطقة وشاهدة بالحب الإلهى فنتخلص من شوائب الحقد والكراهية والأنانية والطمع الذى أصبح سائداً فى هذه الأيام ونطهر أنفسنا بالحب والخير والإنسانية ممتثلين إلى أمر اللّه تعالى بأن نتعاون على البر والتقوى حباً للّه ، وحباً فى اللّه ، وتقرباً إلى اللّه .. وأن نجعل حب اللّه هو القانون الذى يحكم حياتنا وهو الرسالة المثلى التى تقودنا إلى القرب من اللّه .

الفصل السادس

كيفية المحافظة على الحج

لقد دعانا اللَّه جل جلاله فى كتابه العظيم « القرآن الكريم » إلى التأمل والتفكر والتبصر والتدبر والتعقل فى آيات اللَّه فى الكون والحياة والوجود ، وأن نتعلم مما يدور حولنا ويجرى أمامنا من أحداث هى دروس فيها العظة والعبرة .

فكما أن الحج عبادة فى طريق اللَّه ، فالتأمل أيضاً عبادة فى معية اللَّه .

فالتأمل هو نبض الحياة ، وإذا توقف الإنسان عن التأمل .. توقفت نبضات حياته عن العمل ، وفقد معنى كل شئ جميل يستطيع أن يشعر به ويتفاعل معه كيانه كله ثمرة لتأمله فتصبح أيامه هباء ولحظات عمره سُدى .

إننا لا نريد أجساداً تأكل وتشرب بلا تأمل ولا عمل ، وانما نريد عقولاً تتأمل وتتفكر فى خلق الله.. وعظمة اللَّه .. وقدرة اللَّه فتثمر لنا الخير بأمر اللَّه ، وقلوباً تنبض بحب اللَّه فتزرع لنا الجمال فى الأرض بفضل اللَّه .

إننا لا نريد أناساً تغلق على نفسها الأبواب لكى تقيم الشعائر والعبادات فقط ، وانما نريد أناساً تؤمن باللَّه وتحب

اللّه .. وتعبد اللّه .. وتعمل للّه .. وتتأمل فى عظمة اللّه وآيات صنعه وخلقه .. وتتفكر فى آفاق الوجود بأكمله فتنتج لنا الرخاء والخير وتبين لنا ثمار تأملاتها فتعم الفائدة على الجميع .

وطالما اننا نسلك طريق اللّه مجاهدين مجتهدين باحثين متأملين في صنع اللّه .. وآيات اللّه .. وقدرة اللّه .. وعظمة اللّه آملين فى عون اللّه فمما لا شك فيه أن اللّه سيهدينا إلى سبله بسلطان منه هو وحده وبأمره هو وحده إلى اكتشاف الجديد فى آفاق الكون والحياة والوجود مما يعود على البشرية كلها بالخير والنفع يزدادنا وينيرنا الإيمان به هو وحده فيمن اللّه علينا ببركات وخير من السماء والأرض هو رزق اللّه .. وهبة اللّه .. ومنته تعالى إلى عباده الصالحين .

وكما أن الإيمان هو نور الحياة ...

فإن التأمل هو نبض الحياة ...

دعوة للتأمل

لقد أودع اللّٰه سبحانه وتعالى من الأسرار الخفية فى القلب ما يكشف حقيقة الإنسان والسبيل الذى يسلكه ، فهو جهاز شفاف نورانى زود اللّٰه به الإنسان ليميز به بين الحق والباطل ، ويفرق به بين الصواب والخطأ ، ويوضح له طريق الهدى من طريق الضلال .

والقلب الإنسانى الذى يملأه حب اللّٰه ويسكنه نور اللّٰه ويشغله ذكر اللّٰه .. هذا القلب النورانى يدعو الإنسان دائما إلى التأمل ، ويقوده إلى التفكر ، ويعلمه التدبر ، ويحثه على التبصر فى كل شئ من حوله صغيراً كان أم كبيراً مرشداً وموجهاً له بضرورة الإخلاص وأهمية الصدق والصفاء فى تأملاته فيمن اللّٰه على هذا القلب النورانى بفتح أبواب له على طريق الفكر والتأمل فيهديه إلى سبيل اللّٰه .

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

[العنكبوت : ٦٩] .

فالتأمل هو نبض الحياة .. هو الحب .. هو الإيمان .. هو المعرفة .. فالحب يولد الرغبة فى المعرفة .. فإذا عرفت تأملت ، وإذا تأملت اقتربت ، واذا اقتربت أحسست بنبض الحياة وقيمتها وحلاوتها فازددت إيماناً وقرباً وحباً للخالق المبدع الذى أحسن صنع كل شئ رب العالمين رب العرش العظيم .

تأمل أيها الحاج فى عظمة خلق اللّٰه التى تشهدها ، فى الجبال والأودية التى تراها فى رحلة الحج - أنظر كيف أقامها اللّٰه رواسى شامخات وجعل فيها على الرغم من جمود شكلها الخير الكثير للإنسان من معادن وأحجار وخلافه .

تأمل أيها الحاج فى ملابس إحرامك البسيطة التى إبتعدت بها عن زخرف الحياة طاعة للّٰه وحده - أليس فيها ما يذكرك ببدايتك - ولدت عارياً فكساك اللّٰه من خير ، وعندما تموت لن تلف إلا بكفن يشبه هذه الملابس ...أليس فى تأملك لذلك عظة وعبرة .

ماذا تساوى حياتك دون طاعة اللّٰه وحب اللّٰه .. لن تأخذ معك فى قبرك شيئاً سوى أعمالك هذه ، وطاعتك هذه وكما قال رسول اللّٰه ﷺ :

« إذا مات إبن آدم إنقطع عمله من الدنيا
إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع
به أو ولد صالح يدعو له » .

كيف تكون الصدقة إلا بطاعة اللّه ، وكيف يكون العلم نافعاً إلا أن يكون فى خدمة دين اللّه ، وكيف يوجد الولد الصالح إلا إذا نشأ فى طاعة اللّه مع أبوين يطيعا اللّه .

تأمل أيها الحاج فى شهيقك وزفيرك الفرق بينهما لحظات قد يمن اللّه بها عليك فتبقى حياً أو يمنعها اللّه عنك فتصبح بين يديه الكريمتين .

فماذا قدمت لغدك عند اللّه - أموالك فيما أنفقتها ؟

عمرك فيما أفنيته ؟ صحتك فيما أبليتها ؟

تأمل أيها الحاج فى عظمة الكون حولك .. فى دقة هذا الكون .. فى جماله .. الشمس والقمر والكواكب والنجوم كلها تسير فى نظام دقيق .. لو اختل بمقدار سنتيمتراً واحداً لاحترق كل شىء واختفت الأرض بمن عليها .

فمن الذى أحكم صنع هذا ؟ تأمل أيها الحاج .. ..
تأمل .. وتأمل .. وتأمل ...

نعم لا تُحصى .. وأشياء لا تُعد .. ولو أردنا أن نحصى ما هو جدير بالتأمل الوجدانى والفكرى للمؤمن فلن يكفيه ملئ الأرض من صفحات الكتب .

إلا أنها مجرد دعوة لك أيها الحاج .. أن تتأمل فى خلق اللَّه .. متذكراً أن البشرية كلها تقدمت للأمام بالتأمل والتفكر فى أشياء خلقها اللَّه .. وان كان التقدم التكنولوجى والعلمى جاء نتيجة تفكير وتأمل من بشر بعضه مؤمن وبعضه غير مؤمن ، فنحن المسلمون أولى الناس بالتفكر والتدبر وأولى الناس بأن نكون فى مقدمة العلماء والمفكرين .

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾

[فاطر : ٢٨] .

ولتتأمل .. ولتقترب .. ولتخر ساجدًا قائلاً :

« ســـــبحـــانك يـــــــارب ....

ربى لا أحصـــى ثنـــاء عليـــــــك

أنت ســبحانك كما أثنيت على نفســك

تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك

إنك أنت عـــــلام الغيـــــــوب

لا إله إلا أنت وحـــدك لا شـريـك لك

مالك الملك وعـــلى كل شئ قـــدير

رب العـــــــــرش العظــــــيم » .

الإحرام الأبدى

لا شك أن شعائر ومناسك الحج محدودة ومعروفة لكل حاج وهى محببة إلى النفس لدرجة أن كل حاج يحرص كل الحرص على أن يؤديها بكل الدقة والإخلاص وأن يؤديها على أكمل وجه ولا ينقصها شئ ، ولا يشوبها شئ طامعاً فى مرضاة اللّه ومغفرته ورحمته .

ورحلة الحج لا تستغرق بشعائرها ومناسكها سوى أياماً معدودات ليعود بعدها الحاج إلى أعمال الدنيا .. وليواجه السؤال الكبير .

كيف نحافظ على معانى الحج وثوابه ؟

يالها من جملة قد تبدو بسيطة ولكنها عميقة المعنى والأثر .

نعم يا إخوانى الأعزاء .. ليس الحج فقط شعائر وعبادات أديتها وانتهيت منها . إذا كان هذا المقصود فاعلم أيها الحاج إنك قد حجيت فعلاً إلى أرض اللّه وفى سبيل اللّه .

ولكن كيف تحج إلى اللّه بقية عمرك ؟

كيف تعيش حياتك حاجاً على الدوام ؟

هذا السؤال الذى ينبغى أن تعد نفسك للإجابة عليه .

يجب علينا أن نتعلم كيف يمتد أثر الحج إلى البقية الباقية من عمرنا .

لا نريد بشراً إنتهت صلتهم بمعانى الحج بمجرد أن خلعوا ملابس الإحرام .

بل نريد أناساً يعيشون معانى الحج وأخلاقه بقية عمرهم .. هذا هو الحج الصحيح .. وهذا هو الحج الأبدى الخالد .

إن الإجابة على ذلك هو أن يخرج الإنسان من إحرام المظهر إلى إحرام الجوهر .. كيف ؟

أنت أيها الحاج بمجرد أن لبست ملابس الإحرام إمتنعت عن الكثير من المظاهر الدنيوية السائدة .. إمتنعت عن لغو الحديث .. إمتنعت عن النظرة المختلسة .. امتنعت عن الغيبة .. عن النميمة .. عن الحقد .. عن الحسد .. عن كل آفات القلب الدنيوى .

فاستمر فى ذلك بعد خلعك ملابس الإحرام عش محرماً فى سلوكك .. عش محرماً فى أخلاقياتـك .. عش محرماً فى لسانك .. عش محرماً فى قلبك .. ولا بأس عليك عندئذ أن تكون قد خلعت ملابس الإحرام لأنك عندها تنتقل من إحرام المظهر الزائل إلى إحرام الجوهر الباقى .

هذا هو ما نريده من الحج ، وهذا هو ما ينبغى أن ننشده من هذه الرحلة العظيمة .

ولكى نساعد أنفسنا على ذلك ينبغى علينا ما يلى :

١ - أن يستحضر الإنسان اللّٰه دائماً فى قلبه حتى وهو مشغول بأعماله الدنيوية فيصبح كل عمل دنيوى مخلصاً للّٰه وتاماً بعون اللّٰه .

٢ - أن يداوم العبد على شكر اللّٰه على عونه الدائم .. فلا حول ولاقوة إلا بالله .. ولا فضل إلا للّٰه أولاً وأخيراً .

٣ - أن يستشعر الإنسان دائماً بأنه لا زال فى ملابس الإحرام .. فى معية اللّٰه .. فما لا ترضى أن تعمله

وأنت بملابس الإحرام فى كنف الكعبة وبين يدى اللّه .. حتماً لن ترضى أن تعمله وأنت أيضاً تستشعر أنك لا زلت محرماً ويراقبك اللّه .

ولما سئل الرسول مرة عن الإيمان فقال ﷺ :

« الإيمان أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

وعن الإحسان قال عليه الصلاة والسلام :

« الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[1] .

والإخلاص سر من أسرار اللّه استودعه اللّه قلب من أحبه من عباده .

لقد ذهبت أيها الحاج .. حاجاً إلى اللّه مخلصاً فى ذلك فلتعد كذلك .. فى حياتك مخلصاً للّه .

بعد الحج .. ستعود إلى منزلك .. فلتتقى اللّه فى أهلك .. ولتتقى اللّه فى زوجتك وأولادك ، لا تطعمهم من حرام ،

(١) رواه البخارى .

ولا تلبسهم حراماً ، ولا تعلمهم إلا مكارم الأخلاق وأفضلها .. علمهم كتاب اللّه .. حببهم فى الإيمان باللّه .. علمهم حب اللّه ودوام ذكره .. علمهم أن المودة والرحمة والألفة والمحبة هى كلها وسائل إلى اللّه ومن اللّه .. علمهم كيف يشكرون نعمته بالصلاة والزكاة وصلة الرحم ، وعلمهم أن الإنسان مهما طال عمره فهو إلى اللّه .

بعد الحج .. ستعود إلى عملك .. فتذكر قول رسول اللّه ﷺ .

« إن اللّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » .

اتق اللّه فى عملك وأتقنه مهما صغر شأنه لأن العمل ليس بحجمه ولكن بإتقانه .. العمل الكبير هو كذلك بمدى إتقانك له ودون ذلك يصبح عدم .. يصبح عديم الفائدة .

عملك أمانه فلتؤدها على أكمل وجه كما أديت فريضة الحج .. وتذكر أن كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. فى بيتك راع ، وفى عملك راع ومسئول أمام اللّه عن رعيتك .

وتذكر أن اللّه لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

بعد الحج .. ستعود إلى جيرانك ، فتذكر جق الجار عليك من مودة وألفة وحسن الجوار .

بعد الحج .. ستعود للسير فى شوارع المدينة فتذكر حق الطريق .. وآدابه وتذكر أن من الإيمان إماطة الأذى عن الطريق .

بعد الحج .. ستعود إلى والديك فتذكر قول اللَّه سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

[الإسراء : ٢٤] .

واتق اللَّه فيهما كما اتقوه فيك .

بعد الحج .. ستعود إلى مخالطة الناس من أصدقاء وزملاء ومعارف .. فليكن عنوانك بينهم مكارم الأخلاق وأفضلها ولتتذكر قول رسول اللَّه ﷺ :

« المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على
آذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط
الناس ، ولا يصبر على آذاهم »[1] .

تحلى بالصبر والعفو عند المقدرة وأحسن يحسن اللّه إليك ولتكن كما وصف اللّه المؤمنين فى كتابه الحكيم .

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

لن تكفينا صحف الأرض لكى نعد ما يمكن أن نكون عليه بعد الحج ولكننا نلخص ذلك بالقول .. فلنكن محرمين .

ولقد ذهبت وأنت حريص كل الحرص على أن تكون محسناً فى كل ما تفعل .. فلتعد بعد الحج كذلك بقية حياتك محسناً .. خلوقاً .. تعبد اللّه كأنك تراه .

هذا هو الحج الحقيقى .. سلوكاً وخلقاً ومعنى .

وهذا هو الحج الأبدى الخالد .

فهل تحب أن يكون حجك كذلك ؟

الإجابة بك ومنك وإليك .

---

(١) ذكره أحمد فى مسنده ، والبخارى فى الأدب ، والترمذى لابن ماجة ، والسيوطى فى الجامع الصغير .

الفصل السابع

آداب زيارة رسول الله ﷺ

من يحب اللَّه عز وجل يحب رسول اللَّه ﷺ ولا تقبل النفس المحبة لرسول اللَّه ﷺ أن تذهب إلى الحج دون أن تزور رسول اللَّه ﷺ فى المدينة .. فالمؤمنون يحبون رسول اللَّه عليه الصلاة والسلام .

ويقول اللَّه سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران :٣١] .

ولا يصدق إيمان المسلم حتى يكون رسول اللَّه ﷺ أحب إليه من نفسه .. وهذه الزيارة وان لم تكن ركناً من أركان الحج .. إلا أنها مسألة نفسية قلبية .

إذن فزيارة رسول اللَّه ﷺ فى المدينة ليست منسكا من مناسك الحج .. ولكنها أدب من آداب الإسلام .

وشاءت إرادة اللَّه سبحانه وتعالى أن يقيم رسوله ﷺ بالمدينة كما اختار سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أن يموت فى المدينة تعظيما لشأنه ورفعا لمقامه .. وحتى لا تكون زيارته تبعا

لزيارة بيت اللّه الحرام ، وإنما تكون زيارته مستقلة وخاصة به ونابعة من عشقه وحبه .

وفى المدينة التاريخ الحى للإسلام حيث نستشعر عظمة الإسلام فنزور مكان موقعة بدر : الموقعة التى فرق اللّه فيها بين الحق والباطل ونصر الحق على أئمة الكفر .

إن مكان هذه الموقعة يذكرنا بحدث هام فى تاريخ الإسلام .. هو أول انتصار للإيمان على الكفر .. وللحرية على العبودية .. ولدين اللّه على عبدة الأصنام .. إن هذه الأرض شرفت برسول اللّه ﷺ وأصحابه رضوان اللّه عليهم .. وشرفت بدماء شهداء المسلمين .

وننتقل من بدر إلى أُحد .. تلك المعركة التى وقعت عند جبل أُحد ، والتى خالف فيها الرماة أمر رسول اللّه ﷺ بألا يغادروا أماكنهم فوق الجبل .. فخالفوه ونزلوا يريدون الغنائم فكانت الهزيمة .. فلم يكن اللّه لينصرهم وقد خالفوا أمر رسوله ﷺ .

قال الله تعالى :

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .

وهناك نجد قبر حمزة سيد الشهداء الذى وقف عليه رسول الله ﷺ وقرأ الآية الكريمة :

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

هذا هو التاريخ الحى للإسلام .. موجود فى المدينة .. تاريخ شاهد على كل واقعة حدثت حتى المسجد ذو القبلتين الذى كان يصلى فيه المسلمون متجهين إلى بيت المقدس وعندما نزل الأمر بتحويل القبلة إتجهوا إلى المسجد الحرام .. كل هذا موجود فى المدينة .. ذلك أمر الله سبحانه وتعالى أبقى هذا التاريخ ليكون شاهداً لكل الأجيال على دين الإسلام ..

والإسلام هو الدين الوحيد الذى حفظت كل أحداثه بدقة ليشهدها من يريد .

وعلينا أن نتأمل فى هذه الأحداث التاريخية لنخرج بالدروس والعبر .. فإنها نعم الزاد فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

وفى المدينة سر ربانى لا يستطيع أحد أن يفهمه أو يتعمق فيه .. إنه شعور له مذاق غريب حيث يحبها كل من يزورها .. إنها خفيفة محببة إلى النفس بالرغم من المشقة التى يعانيها الإنسان كى يصل إليها ولكنها مشقة على هوى الإنسان .. وتنتهى هذه المشقة والتعب فى المدينة وهذا من أسرارها .

فى الكعبة يشعر الإنسان بالرهبة والخشوع ، وفى كل منسك من مناسك الحج أو العمرة يشهد عظمة الخالق ووحدانيته وقدرته حيث تتجلى أعظم آيات الحب الإلهى ويحس العبد بقمة العبودية للّه وحده لا شريك له .

وفى المدينة يشعر العبد بحب رسول اللّه ﷺ ومكانته عند اللّه ، ويتأمل كيف عانى رسول اللّه ﷺ وجاهد فى سبيل اللّه وحباً للّه فيصبح قدوة وأسوة حسنة لنا نقتدى بها فنتأمل جهاده

وحبه للّه سبحانه وتعالى ومعاملاته وخلقه الذى هو خلق القرآن الكريم .

وهدف كل زائر إلى المدينة المنورة أن يحظى بشرف الصلاة فى مسجد رسول اللّه ﷺ ثم يقوم بزيارته عليه الصلاة والسلام .

ولمسجد رسول اللّه ﷺ أو الحرم المدنى حدوده ، كما أن للحرم المكى حدوده .. فلا ترتكب المخالفات ، ولا يصاد الطير ، ولا يهيج صيد ليخرج خارج الحرم لا صطياده ، ولا تقطع شجرة .

وتحية المسجد الحرام فى مكة المكرمة هى الطواف بالكعبة ، أما فى المسجد النبوى الشريف فهى الصلاة ركعتين تحية المسجد ، ثم تبدأ الزيارة الشريفة المباركة لرسول اللّه ﷺ .. زيارة لابد أن يملأها الأدب والخشوع .. نستحضر فيها عظمة رسول اللّه ﷺ ومكانته عند ربه .

إن المطلوب فى هذا المكان أن يكون الصوت خافتا خاشعا لا يعلو ، وأن يكون سلوك العبد متأدبا هادئا بلا زحام أو دفع ،

أو شجار أو احتكاك .. .. .. لابد أن نعرف أننا فى حضرة رسول اللّٰه ﷺ .. أكرم خلق اللّٰه ، وأقربهم إلى اللّٰه وحينما نحييه فهذا شرف كبير لنا ونشهد له شهادة حق فى أنه أدى الرسالة ، وبلغ الأمانه ، ونصح الأمة ثم ندعو اللّٰه بما نشاء أو بما يفيض به اللّٰه علينا .

وليس معنى وقوفنا أمام رسول اللّٰه ﷺ أن نلقى خطبة .. فهذا موقف جليل يعجز فيه أبلغ الناس ، ويشعر الإنسان فيه بأن أساليبه المحدودة لا تقوى على التعبير عما فى نفسه حبا للّٰه ولرسول اللّٰه ومهما قال الإنسان من كلمات فلن يستطيع أن يفى رسول اللّٰه ﷺ حقه .

لا يملك الإنسان فى مثل هذه المواقف الجليلة .. العظيمة إلا أن يخشع ويتوجه إلى اللّٰه بقلبه سائلا إياه أن يجعله فى طريقه ورضاه .. وأن يضع على لسانه ما يرضى ربه ورسوله .. وما يقربه إليهما .

ويكثر العبد المحب للّٰه من الجلوس فى مسجد رسول اللّٰه ﷺ والانشغال بالعبادة وحدها حيث يصلى وعند انتهاء الصلاة

يقرأ القرآن الكريم .. فإن لتلاوة القرآن فى حضرة من نزل عليه القرآن خشوع وهيبة وجلال لا يشعر به إلا من جلس يقرأ القرآن فى مسجد رسول اللّٰه ﷺ ثم يسبح ، ويكثر من ذكر اللّٰه ، وحمد اللّٰه ، وتقديس اللّٰه ، وتكبير اللّٰه ، واستغفار اللّٰه ، ثم يصلى على رسول اللّٰه ﷺ ثم يدعو ما يشاء له ولمن يحب .

ويحرص العبد على الإكثار من جلوسه فى الروضة الشريفة حيث قال رسول اللّٰه ﷺ عنها :

« ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة »

إن للصلاة وتلاوة القرآن الكريم فى الروضة الشريفة ثواب وفضل كبير مما يشد اهتمام وحرص العبد على ألا يفوته أن يجلس فى الروضة الشريفة ، وأن يكثر من صلاته وقراءته للقرآن الكريم وتسبيحه وذكره للّٰه عز وجل على قدر ما يستطيع وما يتيسر له داعيا ربه أن يجعله مغفور الذنب .. متقبل التوبة .. وأن يعمر قلبه بالايمان وحب اللّٰه جل جلاله وحب رسوله ﷺ .

إن لأداء العبادة فى مسجد رسول الله ﷺ جمال ومذاق خاص لا يشعر به إلا من كان مخلصاً ومحباً للَّه ولرسوله .. إنها تملأ القلب والروح والوجدان والفؤاد بنفحات إيمانيه قد لا نفهمها ولكن نحسها ونعيش فيها ولا نملك التعبير عنها إلا أن نسجد حمداً وشكراً للَّه عز وجل .

الخاتمة

الحج .. دروس مستفادة

لكل شئ فى الحياة أهمية ، ولكل عمل يؤديه الإنسان فائدة واستفادة يتأثر بها وتؤثر فى جوانب حياته تأثيراً فعالاً حيث يدرك أن كل لحظة فى حياته تشهد تغيراً مؤثراً يعود على حياته بالإرتقاء فى طريق اللّه .

وعطاء اللّه .. فياضاً ممدوداً لا ينتهى ولا يقف عند حد .. ولقد جعل سبحانه عطاءه يختلف من شخص إلى آخر ، ومن شئ إلى آخر بما يسمح به اللّه ويأذن حتى يأخذ كل إنسان من عطاء اللّه كلٌ على قدر درجة إيمانه باللّه ، وحبه للّه ، وإخلاصه فى طريق اللّه .

وإذا سمحنا لأنفسنا أن تتحدث عن اللّه ، وتركنا لأقلامنا العنان لتسطر عطاء اللّه ، وفتحنا لقلوبنا الطريق لتنبض بحب اللّه .. وتلمس حنان اللّه فستشعر بالرهبة والخشوع والنور يملأ وجداننا والصفاء يحيط بنا ونصل فى النهاية إلى العجز .. العجز عن الحديث عن اللّه .. والعجز عن وصف عطاء اللّه .. العجز عن التعبير عن فيض اللّه وعظمة آيات الحب الربانى .. وروعة لمسات الحنان الإلهى مما يقودنا إلى الإيمان باللّه

والسجود للّه الواحد القهار حامدين شاكرين اللّه مؤمنين عارفين ذاكرين فضل اللّه علينا ولولا فضل اللّه علينا ورحمته لكنا من الخاسرين .

يسجد القلب الإنسانى للّه الواحد الرحمن ، ويلهث وتعلو صوت دقاته التى تنبض بسرعة شديدة متسابقاً مع الزمن فى حب اللّه محاولاً أن يسبق القلم ويقفز فوق السطور وكأنه يريد أن يحفر بداخله ويحفظ الكلمات التى تهبط عليه خائفاً من فقدانها متمنياً أن يسجل ويثبت المشاعر والأحاسيس التى يتفاعل بها ويهتز بها ويذوب معها سابحاً فى إشراقات النور التى هى هبة من عند اللّه .. وفيضاً من فيوضات عطائه .

والحج هو إحدى العبادات التى تتميز بعطاء يختلف من شخص إلى آخر . وفيه تتجلى الفيوضات الربانية . وبه يتغير العبد المؤمن سلوكاً وخُلقاً فيمنحه اللّه عز وجل البركة فى حياته هبة ومنحة منه سبحانه

وللحج خصوصية .. فهو تجمع عقدى فذ ومؤتمر عالمى فريد دعا إليه رب واحد ، وحدد دوراته فى زمان واحد ، ورسم

منهجه بكتاب واحد على رسول واحد ، واستجاب له المؤمنون بزى واحد وقصد واحد ، وفى جلال هذه الوحدة إنصهرت الأجناس والألوان واللغات ، وذابت العصبيات والبيئات والطبقات ، فلا نسب إلا إلى الإسلام ولا حسب إلا فى الإيمان .

وتلك خصوصية يجب أن تستغل تعارفاً يربط الشعوب بالمودة وتآلفاً بين الأجناس والتراحم ، وحتى يقف كل مسلم على وضع إخوانه فى كل بلد وعلى خط دينه فى كل إقليم وحينئذ تتعاون الطاقات وتتكامل الإمكانات ، يصبح المسلمون كما قال الرسول ﷺ كالبنيات المرصوص يشد بعضه بعضا .

وهناك معنى ذو قيمة يجب أن يستوعبه الحاج فى رحلته إلى الأراضى المقدسة وهو :

أن الحج رحلة واحدة فى الحياة الإيمانية يكفى المسلم أن يقوم بها فى العمر مرة واحدة ليترك نعمة المنعم نفسه وقد تساوى مع غيره من عباد اللّٰه الذين جاءوا لتلبية نداء الحق :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

فلا يعرف أحد غيره بمقادير وألقاب ، فلقد أصبح الخفير بجوار الوزير ، الغنى مع الفقير . فقد صار الكل سواء فى بيت الحق ولا فرق بين أحد وآخر إلا من اتقى وعمل عملاً صالحاً .

فالتقوى هى الميزان . وهى ما يميز عبد عن آخر بصرف النظر عن لقبه أو مركزه أو حسبه أو نسبه .

وللحج فوائد نفسية عظيمة الشأن ودروس مستفادة إذا إستفاد منها الإنسان حق الإستفادة مما يؤثر على حياته وسلوكه وأخلاقه وطريقه فى هذه الدنيا فينال ثواب اللّه فى الحياة الدنيا والآخرة .. يستطيع أن يحقق لنفسه ولمن حوله الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة ، ويصل إلى سر السعادة الكاملة وينعم بالأمن النفسى والسكينة ،ويرفرف السلام الروحى أجنحته على قلبه وفؤاده فيهرب الضياع والقلق من حياته ويمن اللّه عليه بالبركة فى كل شئ فى حياته فيشعر بالرضا يملأه ، والقناعة تحتويه ، والسلامة تسكنه .

ولكن ما هى هذه الدروس التى يتعلمها ويستفيدها الإنسان من رحلة الحج ، وما هى الفوائد التى تجلب له كل هذا الخير ، وهذه المنافع الجميلة ؟

إن زيارة المسلم لبيت اللّه الحرام فى مكة المكرمة ، ولمسجد رسول اللّه عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة ، ولمنازل الوحى ، وأماكن البطولات الإسلامية تمد المسلم بطاقة روحية تزيل عنه كرب الحياة وهمومها ، وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة .

ويدرب الحج الإنسان على تحمل المشاق والتعب ، وعلى التواضع حيث يتساوى جميع الناس الغنى فيها والفقير ، والسيد والمسود والحاكم والمحكوم ، وهو يقوى روابط الأخوة فى جميع المسلمين من مختلف الأجناس والأمم والطبقات الإجتماعية حيث يجتمعون جميعاً فى مكان واحد وزمان واحد يعبدون اللّه ويبتهلون إليه ويتضرعون .

وفى الحج تدريب للإنسان على ضبط النفس والتحكم فى شهواتها واندفاعاتها إذ يتنزه الحاج على الجدل والخصام والشحناء

والسباب عن المعاصى وكل ما ينهى اللّٰه عنه ، وفى ذلك تدريب للإنسان على ضبط النفس وعلى السلوك المهذب ، وعلى معاملة الناس بالحسنى وعلى فعل الخير .

قال اللّٰه تعالى :

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

فالحج على هذا الأساس هو جهاد للنفس يجتهد فيه الإنسان حيث يهذب نفسه ، ويقاوم أهواءه وإندفاعاته ، ويدرب نفسه على تحمل المشاق وعلى فعل الخير وحب الناس .

إن الحج فرصة عظيمة للنفس اللاهية ، والقلب الغافل ، وللإنسان لكى يغير من مألوفات العادات والطباع الرذيلة والمستقبحة ويغسل نفسه من أوحال الرفث والفسوق والعصيان والجدال .

كما أنه باباً مفتوحاً للنفس لكى تعيد حساباتها ، وترجع عن غيها ، ليعتدل أمرها ، وتهجر فسوقها، وعنادها لتدخل فى طاعة اللَّه .

وفى عمل الحاج بأمر اللَّه تنزيه لشعائره ومناسكه تعالى فضلاً عن أن طاعة اللَّه تساعد الإنسان على الإبتعاد تماماً عن الآثام والخطايا فى هذه الفترة الزمنية ، الأمر الذى يكسبه عادات جديدة وأخلاقاً طيبة ، وفريضة الحج تلعب دوراً عظيماً فى التوازن والإعتدال والقسط والقصد والقوامة .

كما أن الحج يفرغ المسلم من الهموم ؛ إذ يقف أمام اللَّه مجرداً عن حظوظ نفسه فيسكن قلبه ، يطمئن بذكر اللَّه كما يفرغ النفس من الهوى عندما تنصرف بالكلية إلى اللَّه وتلتفت عن ما دونه .

كذلك تطالب النفس فى الحج بالبذل والإيثار والإنفاق وتنزيه اللَّه بإخلاص النية ، وهذا من أفضل ثمرات الحج على النفس .

ويتعلم الإنسان من الحج الصبر والشكر حيث يصبر الإنسان على أذى الآخرين ، فمن الممكن أن يتعرض أثناء الحج إلى الأذى من الغير سواء بالقول أو بالفعل ومن شدة الزحام يتعرض إلى الدفع أو الضرب بالأيدى ، ولكى يحصل على مرضاة اللّه وحتى لا يفسد حجه ، عليه ألا يعترض أو يتأفف وأن يصبر على ذلك صبراً جميلاً حباً للّه ، والصبر على الأذى درجة من درجات الإحسان .

وفى الصبر فائدة عظيمة فى تربية النفس وتقوية الشخصية وزيادة قدرة الإنسان على تحمل المشاق .

فالصبر هو القوة الدافعة والشحنة الواقية لنا فى السلوك الإنسانى فهو يدفعنا إلى العمل الصالح والخير الفاضل ويقينا من الوقوع فى حبائل الشيطان فنقع فى الإثم والخطأ والعدوان فنضل ونشقى .. إن الصبر هو المعرفة الحقة والمسلك الواقعى الذى إذا إتخذه الإنسان فى حياته شعر بقوة كبرى تسرى فى كيانه كله يستمدها من اللّه عز وجل وتمنحه الإحساس بأنه

فى طريق الصبر حباً فى اللّه .. وطاعة له تعالى وطمعاً فى رحمته وثوابه حيث قال اللّه عز وجل فى كتابه الكريم :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فيهنأ بالرضا والأمان والإستقرار النفسى وينعم بالسكينة والطمأنينة القلبية فيشعر بالسعادة النفسية والروحية .

ففى الحج جهاد يسعى إليه الإنسان تقرباً إلى اللّه ولمرضاة اللّه ، ومن صفات الجهاد الصبر والهدوء والحكمة والثبات وقدرة التحكم على الإنفعال وكلها مواصفات تتطلب سلوكيات خاصة وأخلاقيات عاليه .. وهذا هو ما يتطلبه الحج ومن أخلاقياته وسماته .

وكما يدرب الحج الإنسان على الصبر يدربه أيضاً على الشكر ، والصبر برضا يكون مقروناً دائماً بحمد وشكر اللّه عز وجل فى السراء والضراء .

ويربط اللّه سبحانه وتعالى الشكر بالصبر فى قوله :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] .

والشكر سلوك عظيم ينطوى على إيمان كامل بالله ووحدانيته وقدرته وكماله ، وتصديق كامل بنعمة الله وإحسانه المطلق على عبده المؤمن .

فالشكر إذن هو ثمرة من ثمرات التقوى والإيمان وسبيل من سبل القرب إلى الله .

ومن أكبر وأجمل لمسات الحنان الإلهى على عبده المؤمن توفيق الله وهدايته سبحانه له كى يشكره ويحمده على نعمه وفضله وبالرغم من شكر هذا العبد الدائم لله على فضله وإحسانه إلا أنه يشعر ويحس بالعجز عن شكر الله ، وأن كل ما يؤديه من أقسام الشكر لله غير كاف وعاجز عن التعبير عن شكره الحقيقى الكامن فى فؤاده .. فى كيانه كله .. ولقد قيل إن داوود عليه السلام قال :

« إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك »

فأوحى الله إليه الآن قد شكرتنى .

فإن العجز عن الشكر سلوك طبيعى يحس به العبد المؤمن الشكور للّه لأنه يشعر بأن كل شىء يسلكه فى الحياة شكراً للّه أقل بكثير من حقيقة الشكر التى يجب أن يقدمها ويؤديها للّه عز وجل .

وفى الحقيقة أن حمد اللّه وشكره من الصفات التى يحرص العبد المؤمن أن يطبع نفسه بها إيماناً منه بأن الإنسان الذى يسير فى طريق اللّه ويتمتع وينعم اللّه عليه ويشهد بآثار نعمة اللّه فى كل لحظة ، ويشعر بلمسات الحنان الإلهى عليه فى كل جانب من جوانب حياته فإنه ولا بد أن يشكر اللّه سبحانه وتعالى فى كل لحظة .

ولم يكتف هذا العبد المؤمن بشكر اللّه فى السراء ولكن يشكره أيضاً فى الضراء ويرى أن اللّه تلطف معه ويشعر بلمسات تلطفه له فيحمده على هذا التلطف الإلهى وحفظه له من هلاك كان من الممكن أن يودى بحياته لولا تلطف اللّه به ورحمته عليه ولمسات حنانه له .

ويعرف العبد المحب للّه بأن شكر اللّه لا يكون فقط باللسان والقلب والجوارح وإنما بسلوكه وعمله ، فإن فضل اللّه عليه عظيم وأقل شئ ممكن أن يقدمه شكراً للّه هو محافظته على عبادته وحرصه على حمد اللّه وشكره فى كل لحظة ثم سلوكه إلى اللّه الذى يعتبر نوعاً من أنواع الشكر للّه فيجب أن يرتقى بسلوكه ويرتفع فوق الأحداث ويتعامل مع جميع الأمور بما يُرضى اللّه آملاً فى حبه ، طامعاً فى رحمته ، ناشداً رضاه .

ويوجه اللّه سبحانه وتعالى العبد ذو القلب المحب للّه الشاكر له على الدوام إلى طريقه ويهديه إلى سبيله ويجد هذا العبد دون أن يدرى أن اللّه فتح له أبواب فى سبيله ليسلكها ويسير فى هداها حتى يفوز بثواب اللّه له ويحمد اللّه كثيراً على فضله ونعمته الكبرى .

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾

[العنكبوت : ٦٩] .

وفى الحج تتجلى آيات الشكر وحمد اللّه سبحانه وتعالى حيث يكثر الحاج من حمد اللّه عز وجل على نعمه وفضله

ومن أكبر النعم التى يحرص الحاج فيها على شكر اللّه نعمة الحج حيث أعانه اللّه وفتح له باب الدعوة إلى الحج ووفقه وأعانه على الحج .

وعندما يصل الحاج إلى درجة الصبر على الأذى وشكر اللّه فى السراء والضراء يتسم بالهدوء ويشعر بالود مع كل شئ ويبدأ يسعى إلى محاولة التحلى بالأخلاق القرآنية والآداب الإسلامية ويجب أن يكون المسلم قدوة فى سلوكه مادام اصبح مقروناً بدين الإسلام .

ويتعلم الإنسان من رحلة الحج الصدق وتشعر أيها الحاج بالراحة والطمأنينة عندما يكون سلوكك قولاً وفعلاً هو الصدق لأنك لا تعبأ بأى شئ .. ولا تهتم ولا تخاف ولا تخشى إلا اللّه سبحانه وتعالى .

والصدق هو الإخبار عن الشئ بما هو عليه ، وإظهاره على حقيقته وهو من الأخلاق الحميدة التى يجب أن يتحلى بها الإنسان حتى يكتب عند اللّه صادقاً صديقاً ، ويفوز بالقرب منه سبحانه وتعالى فالعباد المقربون هم العباد الصادقون .

والصدق على الحقيقة هو الفضيلة الأساسية للحياة الإنسانية ، ولقد كان خلق الرسول ﷺ الصدق وكان الصحابة يؤثرون الصدق مهما كان وراءه من الألم والصعاب لأن الكذب لا يدعم الإنسان ولا ينشئ الأخلاق ، ولا يقيم الأمم ولا المجتمعات .

والصادق من صدق فى أقواله ، والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله .. ومن أراد أن يكون اللّه تعالى معه فليلزم الصدق .

قال اللّه تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

ويرتبط الصدق دائماً بالإخلاص والصبر ارتباطاً قوياً ، وإذا صدق الإنسان فى النية والقول والعمل فهو بالتالى سيتمتع بالإخلاص فى النية والقول والعمل والإخلاص والصدق يقودان بلا شك إلى الصبر لأن من صدق أخلص ، ومن

صدق وأخلص أصبح الصبر صفة ملازمة له حيث أن الصبر يستلزم أن يكون الإنسان صادقاً مخلصاً .

وفى الحج ينعم الإنسان بالرضا حيث يرضى بكل شئ يأتيه أو يعتريه .. ويصاحب الرضا دائماً الشعور بالسكينة ويحتوى السلام نفس الإنسان ويغلب على جوانحه ويتعجب لماذا كان ينفعل ويثور .. لماذا كان يغضب ويترك لانفعالاته الجامحة العنان مما يجعله يؤذى غيره .. لماذا كان يعترض .. ويتأفف .. لماذا لم يشعر بالألم نحو إخوانه الذين كانوا فى حاجة إليه .. كيف سولت له نفسه أن يغضب اللّٰه ويظلم غيره .

لماذا دائماً كان حاله عدم الرضا عن أى شئ .

هنا فى الحج ، وفى عرفة ، وعند طواف بيت اللّٰه الحرام ، وفى مسجد رسول اللّٰه ﷺ يعرف الحاج معنى الرضا وقيمته وحلاوته والرضا لمن يرضى .

ومن الدروس المستفادة الجميلة فى رحلة الحج التى يتعلمها الإنسان وتؤثر على جميع جوانب حياته إسقاط التدابير للّٰه .. نعم فلا تدبر لشئ وتسلم نفسك وأمرك للّٰه وحده .. وترضى بكل ما يأتيك من عند اللّٰه برضى وحب وقبول ، وتصبر على

إبتلائه .. وتحمد نعمه فهو سبحانه مالك الأمر وبيده الأمر كله وإليه يرجع كل شئ فأمرك كله منه وإليه .

وكلمة حق تقال إن إسقاط التدابير للّه .. سلوك عظيم وصعب ولا يقدر عليه إلا المحبون للّه .. وأنت فى الحج تهيأت نفسياً وقلبياً وروحياً لأن تسعى فى طريق اللّه فلتحظى بأن تكون ممن يسقطون التدابير للّه فتنعم بالرضا والأمان .

ولو أعددنا الدروس المستفادة من الحج فلن تكفينا السطور ولا الصفحات ولكن نستطيع أن نحصرها فى كلمة واحدة هى طريق إلى الخلق القرآنى .

والجدير بالذكر أن كل منا يستفيد من رحلة الحج بأشياء ودروس تؤثر على حياته يختلف عن الآخر كلٌ حسب درجة إيمانه وحبه وإخلاصه للّه عز وجل .

وإنى على يقين بأن حب اللّه هو جوهر الأشياء وكلما ازددت حباً للّه .. ازددت إخلاصاً له باحثاً عن الطريق إليه .. ساعياً إلى رضاه .

فكن مع اللّه عز وجل تكن غنياً عزيزاً . ومن إستغنى باللّه

عز وجل إحتاج إليه كل شئ . وهذا شئ لا يأتى بالتحلى والتمنى ولكن بشئ وقر فى القلب ، وصدقه العمل .

والإخلاص هو أساس سلوك العبد المؤمن المحب لله ، وهو سر من أسرار اللَّه أودعه قلب من أحبه من عباده .

قال تعالى :

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾

[البينة : ٥] .

والحج المبرور يصاحبه دائماً الإخلاص هبة ومنحة من اللَّه سبحانه وتعالى .

والإخلاص من الدروس العظيمة المستفادة فى الحج التى يتعلمها الإنسان ويتخذها مسلكاً فى حياته .

والإخلاص صفة لازمة فى كل عمل يؤدية الحاج فى رحلة الحج ، ويصبح ضرورة فى رحلة عمره الباقية لا يستطيع الإستغناء عنها بعد أن تذوق حلاوتها وقيمتها عند اللَّه وهى هبة من اللَّه فحافظ عليها ولا تضيعها بالأنانية والطمع ومتاع الدنيا والظلم والإساءة للغير .

ويستفيد الحاج من مناسك الحج بوجوب الثقة باللّه ، وان على الإنسان أن يسعى قدر جهده وأن يخلص فى سعيه ويعرف بأنه فى الوقت الذى تتذكر فيه الأسباب تذكر أيضاً المسبب فالجوارح تعمل والقلوب تتوكل .

ومن الدروس المستفادة فى الحج ولها أثر كبير على الإنسان والآخرين « التعاون » ، ففى الحج نعرف معنى التعاون وقيمته حيث يتحد الجميع فى مساعدة أى حاج يحتاج إلى العون سواء كان مريضاً أو مسناً أو إمرأة أو أى حاج يحتاج إلى الإرشاد والعون فى أى شئ .

وفى التعاون تتجلى أمامنا قيمة الحب والمودة والسلام والبعد عن الكراهية والحقد والغيرة والإخاء وللتعاون أهمية كبرى فى نشر الوحدة بين الأجناس والأمم والطبقات مما يخلق جو من الألفة بين الناس .

قال اللّه تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢] .

ويدرب الحج الإنسان على العفو والصفح الجميل فأنت فى الحج تتجاوز عن أخطاء البشر ، وترتفع بالعفو إلى درجة من درجات الإحسان .

ويعتبر الصفح – العفو من أقرب الطرق والسلوكيات التى يسلكها الإنسان فى طريقه إلى اللَّه .

كما يدرب الحج الإنسان على كظم الغيظ والصبر على الأذى حيث يتعرض فى رحلة الحج من شدة الزحام إلى أفعال كان من الممكن أن ينفعل فيها ويعترض ويتأفف ولكنه حباً للَّه ومرضاة له وحده يتعلم كيف يكظم غيظه ويصبر على من أذاه .

ويقول الرسول ﷺ :

« من كظم غيظه وهو يقدر على إنفاذه ملأ اللَّه قلبه أمناً وإيماناً » (١) .

ونستفيد من الحج ألا نقول إلا الطيب ولا نعمل إلا الصالح الذى يرضى اللَّه ، فالصفح والعفو والكلمة الطيبة أبواب الحب والرحمة والنورانية والشفافية والصفاء .

(١) ذكره أحمد فى مسنده ، والبخارى ، ومسلم ، والترمزى ، والنسائى ، وابن ماجة ، والسيوطى فى الجامع الصغير .

قال اللّٰه تعالى :

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] .

ومن أجمل الفضائل التى يتعلمها الحاج فى رحلة الحج الإحسان وهو فضيلة كبرى وسلوك إنسانى عظيم يسلكه العبد المؤمن فى طريقه إلى اللّٰه ، يتأكد به معنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنه من نقاء النفس وإخلاصها فى العمل والعبادة ، وفى ذلك يقول اللّٰه تعالى :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء ٧] .

والإحسان فى الظاهر يبدو فى الأعمال والأفعال ، فإذا أتقن الإنسان عمله ، وما كلف به بأمانة من حقوق وواجبات ، وإذا قام بأفعال البر ، وأحسن إلى الغير ، أو عمل عملاً خيراً ، فإنه ينسب إليه هذا الفعل ويلقى من اللّٰه أفضل الجزاء لأنه إحسان وهذا يتأكد من الآية الكريمة .

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾

[الرحمن : ٦٠] .

والإحسان إيثار وتضحية ، وعطاء وبذل للغير عن رضا ، لأن المحسن لا يطالب بثواب يستحقه فى الدنيا ، وإنما يتركه إختياراً للّه تعالى الذى عنده الجزاء الأوفى على إحسانه .

وبالإحسان يشعر المؤمن شعوراً ملازماً ، إن الذى يعطى هو اللّه تعالى وحده ، وأن المال والصحة والجاه وكل ما فى الدنيا إنما هو منه وإليه فلا يحس المؤمن فى الإحسان بذاته إلا كوسيلة إستخارها اللّه تعالى لفعل الخير وعمل المعروف .

والنفس المتسامحه هى النفس القادرة على توقيع الجزاء والقصاص العادل لكنها تنشد الخير فهى نفس محسنة .

وفى الحج يتنافس الحجاج على أعمال البر والإحسان ويكثر الإحسان فى موسم الحج وليس الإحسان فقط بالمال وذبح الذبائح ، ولكن الكلمة الطيبة إحسان ، والعمل الصالح إحسان ، والتعاون إحسان ، ومساعدة المريض إحسان ، ونصرة المظلوم إحسان ، وعون الضعيف إحسان ، وخدمة المسن إحسان ، والعفو عن الناس إحسان ، والتصدق إحسان ، والمجاهدة إحسان ، والعطاء إحسان .

لابد أن تؤثر فيك رحلة الحج وتعود منها صافياً .. نقياً .. طاهراً حاملاً مسئولية كبرى هى مسئولية حب الله والسعى فى طريقه ، وتبدأ فى تطبيق ما استفدته من هذه الرحلة على نفسك أولاً ثم تدعو به غيرك ، وهكذا تكن نموذجاً للإنسان المؤمن الصالح الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وأعرف أن الشيطان لن يتركك وسيفعل قصارى جهده معك ليغريك بمتاع الدنيا وشهواتها ، ويزين لك المعصية ويبعدك عن طريق الله .

وإنها فرصتك لتتغلب عليه ولتنتصر على نفسك الأمارة بالسوء متسلحاً بحب الله وذكر الله وما تعلمته من رحلة عبادة العمر فترتقى إلى مقام النفس المطمئنة التى يرضى عنها الله والمجاهدة فى سبيل الله .

وفى رحلة الحج تكثر لحظات الصفاء حيث يصفو الإنسان ويرتقى بقلبه وينشغل بالله وينعم بحب الله وطريق الله فيصل إلى كل ما يتطلبه طريق الصعود والإرتقاء من التوبة والصدق

والصفاء والإخلاص والنقاء والرضا والعفو وكظم الغيظ والصبر والشكر والبر والإحسان والتقوى بما يقربه إلى اللّه .

وتبدأ هذه المشاعر الصافية النورانية توجهه إلى ما هو خير وفاضل وكريم .. توجهه إلى العفو .. وإلى الكرم .. وإلى الرحمة .. وإلى الإرتقاء فوق الأحداث .. وإلى الصبر .. وإلى الشكر .. فيحمد اللّه كثيراً على الهُدى ونعمة الإيمان وغيرها من النعم التى أفاض اللّه بها عليه .

وختاماً أدعو اللّه أن يقبل حجنا ، ويغفر ذنوبنا سالكين طريقه .. آملين رضاه .. ناشدين رحمته .. طامعين فى حبه مجتهدين مجاهدين فى سبيله .. راجين أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً وخيراً ساعين إلى أن نتوج أنفسنا بأخلاقيات الحج وآدابه المستمدة من توجيهات اللّه عز وجل وسلوكيات رسول اللّه ﷺ .

والحمد للّه الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا اللّه .


تم بحمد الله

كتب صدرت للمؤلفة

★ أثر القرآن الكريم فى الأمن النفسى .

★ الإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود .

★ عيون لها نور من اللّه .

المراجع

القـــرآن الـــكريم

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

إبراهيم عبد العزيز : الشعراوى فى رحاب الكعبة .

أحمد بهجت : اللّه فى العقيدة الإسلامية .

أنبياء اللّه

الدكتور/ حسن الشرقاوى : الطب النفسى النبوى .

نحو علم نفس إسلامى

الدكتور/ عبدالحليم محمود : الصلاة أسرار وأحكام

مع الأنبياء والرسل

الشيخ : عبدالقادر الجيلانى : الفتح الربانى والفيض الرحمانى

الدكتور/ عبدالله عبادة : غفار الذنوب لبيك

محمد حسين هيكل : حياة محمد

محمد شكرى : وفد الله

الدكتور/ محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس

الإمام/ محمد متولى الشعراوى : الحج المبرور

مركز الأهرام للترجمة والنشر : الحج عبادة العمر

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء :	١١
مقدمة :	١٣
الفصل الأول : **التوجيه الربانى وحج رسول الله ﷺ**	١٩
: يوم الوقوف العظيم	٢٦
: حجة رسول الله ﷺ	٣٧
الفصل الثانى : **لبيك اللهم لبيك**	٤٧
: الحج	٥١
: الصفاء النفسى	٥٥
: الإحرام	٦٦
: التلبية	٧٠
الفصل الثالث : **رحلة حب نورانية**	٧٣
: قدسية الصلاة	٨٦
: رحلة العمر المقدسة	٨٩
: العبادة فى الحج	٩٧
الفصل الرابع : **خُلق الحج وآدابه**	١٠١
: الخلق القرآنى والآداب الإسلامية	١٠٧

الموضوع		رقم الصفحة
	: آداب شعائر الحج	١١٠
	: سلوكيات تتنافى مع عبادة الحج	١٣٦
الفصل الخامس	: **عيد الحب العظيم**	١٤٣
الفصل السادس	: **كيفية المحافظة على الحج**	١٤٩
	: دعوة للتأمل	١٥٣
	: الإحرام الأبدى	١٥٨
الفصل السابع	: آداب زيارة رسول الله ﷺ	١٦٥
الخاتمة	: **الحج ... دروس مستفادة**	١٧٥
كتب صدرت للمؤلفة		٢٠١
المراجع	:	٢٠٣
المحتويات	:	٢٠٤



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٩٨/٣٣١٩

الترقيم الدولى
I.S.B.N
977 - 13 - 0242 - 6

مطابع الأهرام بكورنيش النيل .

مطابع الأهرام بكورنيش النيل
ت : ٧٧٣٢١٧